الخدمة الإجتماعية الناهضة

الخوف استطلاع مستقبل من التذكر إلي التفكر

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(الخوفُ استطلاعٌ مستقبل من التذكُّر إلى التفكُّر)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدِّمةُ 4

الخوفُ 6

الخوف بين الفطرة والغريزة 18

الخوفُ صِفة فطريَّة 25

الخوف نقطة الانطلاق الموجبة 37

الخوف ليس التوجس 38

الخوف ليس الحذر 40

الخوف ليس الخشية 42

الخوف ليس التخاذل 46

الخوف ليس الجُبنُ 49

الخوف شعور استطلاعي 53

استنهاض الخوف صناعة مستقبل 61

الخوف واقٍ من الألم 74

استطلاع الخوف تذكُّرًا 78

استطلاع الخوف تدبُّرا 91

التدبُّر دراية عقليَّة 113

استطلاع الخوف تفكُّرًا 136
استطلاع الخوف تفكيرًا 153
صدر للمؤلّف 168
المؤلَّفاتُ..... 170
المؤلِّفُ في سطورٍ 191

المقدّمةُ

مؤلَّفنا الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الخوف استطلاع مستقبل من التذكُّر إلى التفكَّر)، جاء نتيجة فكرة كانت متمركزة على التساؤلات التَّالية:

. لماذا الخوف؟

. لماذا الخوف من الخوف؟

. ما علاقة الخوف بالجبن؟

. ما السرّ الارتباطي بين الخوف والزّمن المستقبل؟

. هل التفكير في الخوف مخرجًا منه، أم مدخلًا إليه؟

. هل التذكّر والتفكُّر والتدبُر موقيات من الخوف، أم إنَّ التذكّر والتفكُّر والتدبُر هنَّ المحافظات عليه بقاءً؟

تساؤلات وقد فتحت الطّريق أمامنا سعيًا فكريًّا، حتى عرفنا ما يميّز بينها موضوعيَّة؛ ولذا تمركز هذا المؤلَّف بحثًا على هذه التساؤلات التي ادخلتنا فسحة بحثيَّة، وقد أظهرتنا على كثيرٍ من الخفايا والأسرار المفاهيميَّة، التي تنير العقل وتطمئن النَّفس، وتحفِّز على مزيدٍ من الخوف إذا أردنا مستقبلًا نكون فيه آمنين سادة؛ حيث إذا عملنا لا حاجة إلَّا ولها مشبعاتها، وإذا اجتهدنا فلا مشكلة إلَّا ولها حلّ، وإذا انتبهنا فلا تأزُّمات إذا كان الخوف ليس بخارجٍ عن دائرة الموضوعيَّة.

ولأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة مهنة ناهضة، فليس لبحاثها ومفكّريها والمتخصّصين في ميادينها وطرقها إلَّا النُّهوض؛ وذلك بمزيدٍ من البحث الجاد، والعمل الجاد؛ من أجل نهضتها، التي بطبيعة الحال لا تكون نهضة إلَّا بنهضة فكرها دراية واستنارة.

وها نحن نبذل من الجهد مزيدًا من العطاء، لعلَّه يكون بين أيدي القراء معطية من معطيات الاستفزاز العلمي والفكري، الذي به تستنير المهنة، ويرشد أهل التخصُّص إلى كل ما يمكّنهم من الصَّحوة؛ ومن ثمَّ يَرشُد الممارسين لها في مؤسّسات الرِّعاية والخدمة.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

الخوفُ

مع أنَّ استشعار الخوف استشعارا موجبا؛ فإنَّ الكثيرين يظنون أنَّه سالبًا، ولأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة وتولى اهتماما عاليا بالعملاء ودراسة حالاتهم المختلفة، سواء أكانت الحالات على المستوى الفردي، أم إنَّها على المستوى الجماعي أو المجتمعي؛ فهي لا ترى الخوف إلَّا ذا قيمة تستوجب التنمية الموضوعيَّة بغاية إنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولًات بعد إزاحة لكلّ ما يعيق سُبل الارتقاء، وبلوغ القمم، وإحداث النُّقل.

ولهذا فالخوفُ توقّع حذري قبل وقوع الفعل؛ فهو يستوجب اتقاء ما سيقع، وقد يُحدث أمرا غير مُرضيا، أو أنَّه يُحقّق ألما، والخوف هو ما ليس بجُبنٍ، فالجبن لا يكون ساكنا إلّا في نفس من يعرف الحقيقة تجاه ما يجب ولا يقدم عليه، والخوف لا يكون إلّا في دائرة المتوقّع من أجل الإقدام على، أو الانتهاء عن، دون تأخّر ولا جُبن.

ولذا فالخوف استشعار للمستقبل واستطلاع لِما قد يَحلّ به وقد يؤثّر تأثيرا سالبًا على الفرد أو الجماعة أو المجتمع وما يمتلكون، وحتّى لا يحدث تُبْذل الجهود من قِبل مستشعريه وقاية منه، أو استبدالا له، أو استغناء عنه في دائرة الممكن.

ومع أنَّ معظم معلومات العامَّة من النَّاس عن الخوف هي معلومات عن سالبٍ، إلّا أنَّ حقيقة أمره لا تربطه بسالبٍ؛ فالعامَّة على سبيل المثال: يخافون من الظُّلمة، ولكن هل يوجد شيء من مكوّنات الظُّلمة يخيف؟

بالتأكيد الظُّلمة لا تُخيف، ولكن ما قد يفاجئك وأنت في زمن الظُّلمة قد يُلحق بِكَ ألما أو ضررا، ولهذا ينبغي أنْ تكون عند الظُّلمة حذِرا متيقّظا، وإن لم تكن كذلك فقد تفاجأ بما هو غير متوقّع، وعندها قد تحدث الخسارة، ولكن بفضل الله علينا خُلق الخوف في أنفسنا وجعله قابلا للاستشعار العقلي ليتّخذ الإنسان حذره ممّا يُخيف.

وعليه فالخوف الذي هو من خلق الله فينا خلقا، هو دائمًا موجب؛ ولذا لا حُجّة للبعض الذين يرون أنّ الإنسان قد خُلق على السَّلبيَّة في مقابل قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[1].

ولأنَّ الخوف موجب فكلّ عاقلٍ منّا يخاف المرض ولا يخاف الموت؛ ذلك لأنَّ للمرض دواء؛ فكلّنا نسعى إلى بلوغه والعمل من أجل الحصول عليه؛ فتجرى التطعيمات الوقائيَّة للنَّاس عن المرض استباقا، خوفا من حدوثه، أمّا الموت فلا دواء له، ولهذا لا أحد يفكّر في علاج الموت.

ولأنَّ الخوف يصنع المستقبل؛ فكلّنا نسعى لتوفير الماء قبل أن يلمَّ بنا العطش، ولأنّنا نجوع؛ فنسعى لتأمين غذائنا قبل أن تلمّ بنا أزمة الغذاء وألم الجوع، ولأنّنا نخاف من الوِحدة، فنسعى جميعًا من أجل تحسين علاقاتنا

[1] التين 4.

الاجتماعيَّة مع الآخرين أبوَّة وأخوَّة وعمومة وقرابة وجيران كرام؛ كي لا يلمّ بنا ما يخيف، وحينها نتمكّن من بلوغ السَّكينة.

ولأنّنا نعرف ما تتركه السَّرقة من ألم؛ فنسعى للتأمين على ما نمتلكه قبل أنْ تحدث السَّرقة؛ ولذا فمن لم يكن خائفا فطنا سيدفع ثمن غفلته ألما.

وهكذا بأسباب الخوف من الجهل تسعى النَّاس لنيل التعليم؛ ولذلك دائمًا من لا يخاف على مستقبله لا يسعى لتأمينه، ومن لم يرسم الاستراتيجيَّات والخطط لمستقبل أفضل، لن يجد لنفسه مكانة يتبوَّؤها بين النَّاس، ولن يكون له مستقبلا مفضّلا ولا مقدّرا، بل قد يجد نفسه على الرَّصيف جالسا على قارعة الطَّريق متسوِّلا، أو سجينا بين الجدران بأسباب فقدانه مشبعات الحاجة.

ولأنَّ الخوف نعمة من نعم الله علينا؛ فكلّ عاقل ليس له بدٌّ إلّا أنْ يُفكّر في كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه ما يخيف.

وعليه فالعاقل دائمًا يسعى لتأمين مستقبله من الكوارث. وهكذا كلّ من يخاف من العدوان يسعى لإعداد العُدَّة قبل أن يحدث العدوان؛ وذلك لأجل إرهاب العدو ووضع حدّ له يقف عنده.

ولمتسائل أن يسأل:

الخوف من أجل ماذا؟

نقول:

من أجل السَّلامة؛ ولذا فمن يحرص على الإقدام على ما يخيف من أجل التخلّص منه أو تجنبه بما يحقّق السَّكينة والأمن، سلم. وإلّا لماذا الآباء هم يخافون على أبنائهم؟

بطبيعة الحال خوف الآباء على أبنائهم هو من باب الحرص عليهم وتحقيق السَّلامة لهم؛ ولذلك فمن خاف سلم، ومن لم يخف ألقى نفسه في التهلكة.

وعليه فالعلاقة قويّة بين الخوف والتدبُّر، وبينه وبين التفكّر، والتذكّر، أي لماذا الإنسان العاقل ينبغي عليه أن يتدبّر أمره، ويتذكّر ماضيه، ويفكّر في مستقبله؟

نقول:

يتدبّر حاله في الزَّمن الآن من أجل أن يستمدّ القوّة، التي بها يتمكّن من التذكّر والتفكّر، ويتذكّر الماضي لكي يتدبّر حاضره عن بيّنة، ويعرف ما يجب أن يَقدِم عليه في مستقبله، أمّا التفكّر فلا يكون إلّا في كلّ ما من شأنه أن يحفّزه على صناعة المستقبل.

وكما أنَّ هناك علاقة موجبة بين الخوف والتدبّر والتفكّر والتذكّر؛ فكذلك هناك علاقة سالبة بين الخوف والوهم؛ فالوهم مجرَّد افتراضات لا علاقة لها بالواقّع (تخيّل ليس إلّا)، أمّا الخوف فلا وجود له إلّا مع واقع، ولهذا فالفرق كبير بين متخيلات الوهم وبين ما يكشفه الخوف حقيقة.

فالآباء في كثيرٍ من الأحيان يرسمون صور وهميّة في أذهان أبنائهم عن المجهول بالنسبة إليهم بغرض السَّيطرة عليهم وجعلهم تابعين؛ فالغول الذي ليس له صورة لعدم وجوده حقيقة، صورته لم تمحَ من أذهان الكثيرين من أبناء العالم المتخلّف.

ولأنَّ للخوف علاقة وثيقة مع المستقبل؛ فالنَّاس تخاف من مفاجِئات الزَّلازل؛ فتسعى في البحث لأجل أن تتمكّن من المعرفة العلميَّة التي تكشف مؤشِّرات الزَّلازل قبل وقوعها تفاديا لِما قد تحدثه من كوارث؛ ولذا فالمهندسون وبخاصة المعماريون هم دائمًا يبحثون عن كيفيَّة إيجاد تصميم معماري يُسهم في تفادي الهزَّات الأرضيَّة أو الحدّ ممّا تؤدّي إليه من أضرار.

ولأنَّ الخوف فطري؛ فكلّ المخلوقات الحيوانيَّة حالها كحال الإنسان تخاف فطرة لا تعلّما؛ فالخروف بدون شكّ يخاف الذِّئب، والذِّئب يخاف الكلب، والكلب يخاف صاحبه ولا يخاف أعداءه، وهكذا الدَّجاج يخاف الثَّعالب، والثَّعالب تخاف الصِّيَّادين، ولكن دون تدبّر؛ فكلّ سلوك حيواني يكون الحسم فيه أثناء المواجهة للأقوى، ممّا يجعل للمفاجئة مكانة في إلحاق المغالبة بين حيوان وآخر.

والفرق بين الخوف على المستوى العاقل والمستوى الحيواني هو أنَّ الإنسان يخاف فيتدبّر أمره مسبقا، من أجل أن يتفادى المخاطر المقدّرة تقديرا بحسبان؛ فالمسلم يعلم أنّ أمامه مستقبل بين (سكينة وألم) وله أن يختار إرادة (جنّة أم نارا) ولهذا فالمؤمن في حياته الدُّنيا يتّقي الشُّرور ويبتعد

عن ارتكاب المظالم خوفا من النَّار وحبّا في الجنّة، ولهذا فهو يُصلّي ويُزكّي ويصوم ويتّبع أمر الله ونهيه، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسعى للإصلاح في الأرض وإعمارها وفلاحها، أمّا غيره من بني جنسه (الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم)؛ فهم غافلون، ولهذا لم يعملوا على صناعة مستقبلهم وهم في الحياة الدُّنيا؛ ولذا فالخوف تفادٍ للفعل المؤلم سواء أكان هذا الفعل في الحياة الدُّنيا أم أنّه عندما يكون مترتّبا عقابا في الحياة الآخرة على ما لم يُفعل في الحياة الدُّنيا، أو أنّه فُعل عن غير طاعة لما يجب أن يُفعل إرادة.

ولأنَّ الخوف يُجنّب الألم؛ فالواعون دائمًا يتجنّبون لحظة الغضب بحكمة وتدبّر، بغرض إضاعة الفرصة على الغاضب وإعادته لرشده؛ ولذا فإنْ لم يتمّ تفادي الغضب لحظته تحدث المواجهة المؤلمة؛ فتتأزّم الأمور ويتصدّع البناء الأسري أو العشائري أو أيّ بناء اجتماعي وإنساني على مستوى الأفراد والجماعات وحتى الدِّول.

وهكذا العالم المتقدّم دائمًا يَقدم على كلِّ شيء يمكن أن يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل؛ فبالنسبة له كلّ شيء بحسابه؛ ولذا كلّ يوم نلاحظ أسعار النفط والذهب والفضة والعملات وأسعار الأسهم وما شابهها اقتصاديّا تتغيّر وتتبدّل قيمها أحيانًا بتعديل رؤية في سياسة منظّمة الأوبك أو تصريح من رئيسها أو تصريح من أيّ رئيس له أثر فعّال على السَّاحة العالميَّة، أو إذا وقعت كارثة طبيعيَّة أو غير طبيعيَّة من حروب أو حتّى تهديدات باردة ترتفع بأسبابها أحيانًا جميع الأسعار عقاريّة وماليَّة وذهبيَّة

ونفطيَّة وفضيَّة وغيرها، وكلّ ذلك بأسباب الخوف التي تجعل الكلّ يأخذ حذره الذي به يتمكّن من تأمين مستقبله.

وعليه: النَّاس جميعًا يخافون في ظروف متشابهة أو ظروف مختلفة؛ ولذا فالخوف انفعال طبيعي مرتبط بالفطرة، وثمّة مخاوف تكون وهميَّة لدى البعض إذا تكرّرت بانتظام في غياب مخاطر حقيقيَّة، وتكون هذه المخاوف ما بعد الفطرة في بعض الحالات، وهي مرتبطة ارتباطا مباشرا بتجربة مخيفة نتج عنها رعب؛ فالذي يخاف من حيوان معيّن أو من أكثر من حيوان قد يكون هذا الخوف تأصّل في نفسه بعد أن تعرّض أو عرف وراء من تعرّض لهجوم من حيوان معين، وهكذا لو وقع طفل في حفرة؛ فهو يخاف أيّ حفرة مشابهة، ممّا يجعله أكثر حذرا في مستقبله من أجل السَّلامة، وهذا النَّوع من الخوف هو خوف زائد على الفطرة، لأنّه ناتج عن تجربة سبّبت أذى نفسيًّا كبيرا أو ألما جسديّا، جعلت صاحب هذه التجربة يخاف الأشياء التي مرّت به وسبّبت له ألما أو أذى نفسيًّا أو جسديّا؛ فأصبح هذا الخوف نوعا من المرض الذي يجب علاجه، أمّا الخوف الطَّبيعي فهو خوف فطري لدى جميع البشر، وهو صفة من صفاتهم اللازمة، والذي لا يخاف يكون مريضا وجب علاجه أيضًا.

الخوف هو صفة للخائف مثله مثل أيّ صفات أخرى يمكن أن يتّصف بها الإنسان، وطالما أنّ الخائف موصوف بما يمكن أن يتّصف من صفات ومن ضمنها الخوف؛ فإنَّ الصِّفة التي اتّصف بها ـ أيّة صفة ـ إمّا أن تكون

صفة عارضة تزول بزوال مسببها، كاصفرار الوجه الذي يسببه المرض مثلا، أو أنّها صفة لازمة خَلقيَّة كلون البشرة والشعر والأعين، أو فطريَّة غريزيَّة من الصِّفات الإنسانيَّة التي تنقسم إلى مادّيَّة وإلى نفسيَّة روحيَّة، فالمادّيَّة كالشعور بالجوع والعطش التي تزول بزوال مسبباتها بعد الأكل والشُّرب وإن تكرّرت بانتهاء مشبعاتها ويكون المنبّه عليها داخلي يشغل حيّزا مادّيّا معيّنا، وأمَّا النفسيَّة الرُّحيَّة التي لا تنفكّ عن الجسد ولا يعرف موطنها فيه، كالشَّجاعة والجبن، والكرم والبخل، والخوف والأمن، تسكن في الحيّز الإنساني فطرة غريزيّة لا يعرف موطنها، وتفترق عن الصِّفات المادّيَّة بأنّها تستثار وتهدأ بمثيرات خارجيَّة وهي ملازمة في الحالين:

. حالة الاستثارة.

. حالة الهدوء.

فالكرم صفة مثل صفة الخوف؛ ذلك أنَّ الذي يتّصف بها يكون كريما، ولا تظهر فيه صفة الكرم إلاّ بمثيرين اثنين:

الأوَّل: من يقوم الكريم بإكرامه.

. الثَّاني: ما يقدّمه لمن يكرمه.

فإذا تلاشى كِلَا هذين المثيرين لهذه الصِّفة أو أحدهما، فإنّ صفة الكرم تهدأ في نفسه ولا تتلاشى؛ وذلك إمّا لأنّه لم يجد من يكرمه، أو أنّه لا يجد

شيئا يُكرم به، وبهذا تبقى الصِّفة قائمة في النَّفس لحين استحضار مثيراتها ودوافعها من الأسباب.

والخوف أقرب ما يكون إلى صفة الكرم؛ فهو ليس من الصِّفات المكتسبة، إذ لو كان الخوف مكتسبا لَعمِلنا جاهدين على إيجاد نقائض أسبابها بطريقة الكسب، وتخلّصنا منه إلى النِّهاية.

وعليه فالخوف صفة لازمة للخائف ولغيره؛ وذلك أنّ الخائف تكون صفة الخوف لديه لازمة ظاهرة، وأمّا غير الخائف؛ فإنّ صفة الخوف لديه لازمة باطنة، وهذا يعني أنّ الخوف جزء من تكوين الإنسان النَّفسي كونه فطريّا غريزيا، ومعلوم أنّ الصِّفات الفطريَّة التي ترتبط بالجانب النَّفسي لها علاقة مباشرة في حياة الإنسان؛ فإن أحسن الإنسان استخدامها، أدّت وظيفتها الإيجابيَّة التي وجدت من أجلها، وإن كان غير ذلك؛ فلا بدّ أن تكون النتائج عكسيّة.

ولما كان الخوف صفة فطريَّة لازمة؛ فلا بدّ أن تتناسب هذه الصِّفة مع مراحل الإنسان الحياتيَّة وتنمو مع نمّوه بما يناسب التحذير من المخاطر التي تحدق به في كلِّ مرحلة من مراحل حياته؛ إذ لولا الخوف الفطري لهلك كثير من النَّاس وبخاصة الأطفال الذين لم يصلوا إلى مرحلة التمييز العقلي، وهنا تظهر صفة الخوف نعمة ممّا أنعم الله تعالى بها على خلقه؛ ولذلك يكون الخوف عندهم نوعا من الحواجز التي تردعهم عن المخاطر في تلافيهم إيّاها، وكلّما كبر الإنسان كبر خوفه بنموّي عقله خوفا تحسبيّا، لا بمعنى

الجبن والتخاذل، وإنّما بمعنى تقدير المخاطر التي تؤدّي إلى ضرر، ومعرفة المكاسب التي تؤدّي إلى النفع، وعليه فخوف الإنسان خوفان:

1 . خوف من أن يدركه شيء.

2 . وخوف من أن يفوته شيء.

فكلّ إنسان يشغله حيّز من الخوف منذ ولادته؛ حيث يكمن هذا الخوف في نفسه وإن كان آمنا، كما يشغل النَّفس حيّز آخر من الأمن والآمان، ويدور صراع النَّفس مع الخوف إمّا من أجل الحصول على الأمان أو المحافظة عليه حال وجوده، ومن هنا يجب أن يكون الخوف والأمن متوازيان لدى النَّفس الإنسانيَّة، أو بعبارة أدق يجب أن يكونا متعادلين، بحيث لا تستغني عن الخوف ولا تكتفي به، كما أنّها لا تستغني عن الأمان ولا تكتفي به، ووجود الخوف الفطري المصاحب للأمان في النَّفس الإنسانيَّة لا بمعنى الاصطحاب وإنّما بمعنى الكمون، يعطي الإنسان فسحة للتفتيش عن الأسباب التي تهدِّئ مخاوفه حال الاستثارة من خلال إيجاد المنافذ الأمنيَّة والاطمئنان إليها عندما تطغى على المخاوف؛ ولذا نرى أنّ الأمان يمنح فرصة أكبر للوقوف على مصادر الخوف، لأنّه يمنح العقل انطلاقة التفكير بما يجب وما لا يجب، ومن هنا يكون الأمان مستثيرا للخوف في اللاوعي؛ فعندما يقف الإنسان من خلال اللاوعي على مصادر الخوف ومخاطر تلك المصادر؛ فيعود إلى وعيه ويبحث عن مثبتات الأمان من خلال خوفه؛ ولذلك فالنَّفس المطمئنَّة هي التي تتعادل لديها كفتي الأمن والخوف،

الأمر الذي يمنحها الاتزان من خلال التوازن بين الجانبين؛ فإذا طغى الأمن على الخوف كان ذلك مدعاة للإفراط في الثِّقة بالذَّات، وهنا مكمن الخطر، وإن طغى الخوف على الأمن أدّى ذلك إلى الانسحاب المفضي إلى الجبن؛ ولذلك لابدّ لأيّ إنسان أن يمتلك قسطا من الخوف يوازي أمنه ويحافظ عليه؛ ذلك أنَّ هذا القسط من الخوف الذي يعتري الإنسان، يكون نواة تبلور السَّكينة والأمن والطمأنينة ومصدر لها، فإذا تنكّر الإنسان لخوفه، انطلقت نفسه على هواها، وهذا الانطلاق يؤدِّي إلى الانزلاق الذي لا يمكن التخلص منه إلاّ بالعودة إلى الخوف استشرافا للمستقبل الآمن من أجل التخلّص من القلق والاضطراب، فإذا كان البعض يرى أنّ أزمة الإنسان في الوقت الرَّاهن في عصرنا هي الخوف، فإنَّنا نرى أنّ عدم الخوف هو أزمة أكبر لما يُحدث من مخاطر، فلو كان الخوف قائمًا في النَّفس لوجب أن يكون هذا الخوف دافعا للحصول على الأمن والسَّكينة والطمأنينة من وسائلها الأمنية بأسبابها الخوفيَّة؛ فإن تغلّب الخوف على الإنسان ولم يكن خوفا متوازنا يرافقه جانب أمني، يتحوّل هذا الإنسان إلى جبان فقد اتزانه وقدرته على مواكبة الحياة، وبهذه الحال يكون قد وصل إلى مرحلة الخوف من الخوف، والذي يحلّ المشكلة برمّتها هو حسن التعامل مع الخوف ضمن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا وجب على الإنسان أن يواجه خوفه مواجهة عقليَّة انطلاقًا من واقع يستشرف المستقبل بحيث يكون الخوف دافعا للبحث عن منافذ الأمن ومسببًا للطمأنينة من خلال نظرة استشرافيَّة للمخاطر التي يمكن أن يأتي بها الخوف مستقبلا، وبهذه النَّظرة في طريقة

التعامل مع المخاوف، يكون قد سخّر خوفه خدمة لمستقبله إن علم أنّ الخوف صفة لم يتّصف بها إلاّ من أجل الانطلاق نحو الأفضل.

فالخوف هو ذلك المحفّز الإيجابي للعاقل الذي يدفعه إلى التحصّن ضدّ الشرور باستدعاء مفردات الخيرات في البحث عنها وتأمين سبلها ومسبباتها خوفا من سيطرة مفردات الشرّ التي تحمل الألم والضرر والأذى، وما يترتّب عليها من حزن وقهر وحرمان، تؤدّي إلى حسرة ولوعة وخسران.

ولما كان الخوف ملازما للإنسان غريزة وفطرة، فإنّه لم يكن قبله، ولم يأتِ بعده، مما يعنى أنّ صفة الخوف هي شعور يختصّ بالمستقبل؛ فيبدأ الإنسان من خلال خوفه بتحصين نفسه ضدّ المخاطر التي يدرك أنّها تؤدّي إلى الضرر أو الأذى وأحيانًا تصل إلى درجة الهلاك، ومن هنا يبدأ الفرد في تحصين الذّات ضدّ أشياء يخشاها بداية أثارت مخاوفه؛ فيتحصّن ضدّ الجهل والفقر والمرض والعدو، وضدّ العطش والجوع والحرّ والبرد، وأشياء أخرى تثير مخاوف الإنسان أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن هناك خوف من هذه الأشياء لما سعى الإنسان لتأمين مضاداتها التي تقف حائلة في وجه ما يثيره الخوف وما ينتاب الإنسان من هذه الإثارة، وبذلك يكون الخوف مدعاة لتأمين العلم والمال والدواء والقوّة، وكلّما ازداد خوف العاقل ازداد مع هذا الخوف تحسّبه لما يمكن أن يأتي من مخاطر، فيكيّف نفسه وفق المخاوف التي يتوقّعها بما يعدّ لها من عدّة للمواجهة، وهكذا يكون الخوف سببًا للأمان والأمن والطمأنينة.

وكلّما اتسعت دائرة الإنسان، اتسع مع ذلك دائرة المخاوف التي تحدق به، إذ أنّ الامتداد الأسري للإنسان، هو امتداد لمخاوفه؛ ذلك أنّ خوف الأسرة أكبر من خوف الفرد؛ فالخوف على مستوى الأسرة يكون أوسع نطاقا وأبعد مدى من مجال الفرد، وبالتَّالي فهو دافع أكبر وأوسع في استشراف مستقبل الأسرة وما يحيط بها من مخاطر وجب الخوف منها تفاديا لوقوعها.

وهكذا عندما تتّسع دائرة الفرد الإنسانيَّة، يتّسع معها مجال مخاوفه، وبالتَّالي يجب أن يتّسع مع تلك المخاوف البدائل التي تقف في وجه تحقيق أهداف الخوف، ولذا نجد أن ما تحقّقه الدولة لا يحقّقه الفرد ولا تحقّقه الأسرة، لا بمعنى الإمكانات المادّيَّة، ولكن بمعنى الإنجازات التحسبية الناتجة عن المخاوف ومسؤوليتها تجاه مواطنيها خوفا عليهم.

الخوف بين الفطرة والغريزة:

إنّ خوف العاقل هو الذي يقوده إلى البحث عن مكامن الأمن على تشعّباتها المادّيَّة والمعنويَّة، والدُّنيويَّة والأخرويَّة على الرُّغم ممّا ينظر إليه البعض على أنّه سيف مسلّط على رقاب النَّاس، أو أنّه سوط من الأذى يسوقهم إلى المكاره ويقضُّ عليهم مضاجعهم، إلاّ أنّ هذا السوط من الخوف هو أيضًا يجعل الإنسان في مأمنٍ من المكاره التي يخاف منها وليس من الخوف؛ إذ لو فقد الإنسان خوفه؛ لفقد الأمن والاستقرار والطمأنينة والسَّكينة، فالشعور بالخوف عندما يستثار من مكمنه، يولّد نوعا من الألم النَّفسي على

الرُّغم ممّا يصاحب هذا الألم من الرَّجاء في الانتقال من الاضطراب إلى الهدوء ومن القلق إلى السَّكينة، وهذا يعني أنّ الخوف وإن كان من العاطفة، إلاّ أنّه يدفع بالعقل إلى درجة عالية من توقّد الذهن ولا يغيّبه؛ بل يجعله يُجدّ البحث عن سبل تهدّيء الخوف وتسكّنه وتعود به إلى مكمنه من خلال تأمين وسائل مسكّنات الخوف؛ ولذا أقرب ما يكون الخوف عند الإنسان إلى الفطرة والعقل، على عكس بقية المخلوقات التي يرتبط خوفها بالغريزة؛ ولذا نقول فطرة الإنسان وغريزة الحيوان، وإن كان للإنسان غرائز حيوانيَّة كالجوع والعطش والنِّكاح التي يستوي فيها الإنسان والحيوان، إلاّ أنّ الإنسان يفارق الحيوان بالخوف، لأنّها فطرة عند الثَّاني وغريزة لدى الثَّاني، بدليل أنّ الإنسان عند خوفه يلجأ إلى عقله ويحتكم إليه، وبالتَّالي فإنّ العقل في حالة خوف الإنسان، يدفعه إلى التفكير بما يجلب له المصالح ويدرأ عنه المفاسد، ومن هنا لا يستبعد العقل إمكانية التخلّص من المخاوف التي أثارها الخوف، فالعقل بهذا الاعتبار حال الخوف يستطيع أن يضغط على العاطفة ويسيّرها وفق مشيئته بما يراه مناسبا من حذر المكروه اقتناصا للمصلحة ودفعا للمفسدة بما يعود عليه بالمنفعة التي يراها من خلال حجم المخاوف، وإن كان العقل لا يدلّ على حُسن الأشياء وقبحها والأخذ بالأفعال وتركها قبل بيان الشارع لها في الوجوب والمنع والأمر والنهي، إلاّ أنّه يدرك مخاطر الأشياء والأفعال عن طريق الخوف، ومن هنا ارتبط الخوف بالعقل عند الإنسان، وارتبط الخوف بالغريزة عند الحيوان، فالعقل يكون شاهدا على المخاوف، ويكون مقرّا بخطرها ومؤيدا لوجودها، لا ناقضا لشهادته ولا رافضا لها،

ويكون موضّحا للأمر، والخوف هو الذي يدفع العقل لاتخاذ القرار فيما يمليه عليه الأذى والضرر من المخاطر الذي دفعها الخوف إلى العقل ليسبر غورها.

ومن هنا نرى أنّ علاقة وطيدة تقوم بين الخوف والعقل؛ بل إنّ الخوف يدفع العقل إلى إعمال إمكاناته إشباعا لمتطلّبات الخوف، بما يثره الخوف من قضايا ويدفعها إلى العقل من أجل البحث عن حلولها، وهذه المخاوف التي يبثّها الخوف في النَّفس، يكون للعقل منها النصيب الأوفى لا من حيث الخوف، وإنّما من حيث التعرُّف على حجمها ومقدار ضررها، وإن كان خوفا عكسيّا من أن يفوته خير، فيستطيع أن يقدّر صلاحها ومنفعتها وفائدتها والحكم على الحرص في استحواذها.

ومن خلال المخاوف يحكم العقل باستحالة غير الممكن، وقبح الشرّ والظلم، وضرر المفاسد، ويحكم من خلال الخوف أيضًا على حُسن الخير والحقّ والعدل، وعلى المصالح التي تعود بالمنافع التي تبدّد الخوف.

وعليه ممّا يثيره الخوف لدى العقل، يستطيع العقل أنّ يردّ كلّ حدث خارجي إلى سببه، وكلّ هاجس داخلي ـ في النَّفس ـ إلى علّته، بحيث لا يمكن للنَّفس التشكيك فيه؛ فتطمئنّ إلى قراراته وما يمليه على الإرادة اندفاعا من الخوف الذي أرسل الإنذار بالمخاطر؛ ذلك أنَّ الإنسان يتمتّع بأشياء كثيرة من الملكات، ويتمتّع إلى جانب خوفه بالعقل والقدرة، فالعقل يفهم الخطاب الصادر عن الخوف ويميّز به حجم المخاطر ويقارنها بالقدرات،

والقدرة تباشر الأسباب التي يكلّفها العقل بمعالجتها استجابة لإنذار الخوف؛ ولذا وإن كان الخوف يصنّف ضمن العواطف التي تتمتّع بها النَّفس، إلاّ أنّ هناك علاقة إيجابيَّة متبادلة بين الخوف والعقل في تقدير حجم المخاوف ومخاطرها، ومن ثمّ البحث عن الأسباب العلاجية لها أو الوقاية منها في عملية تشابكية بين الخوف والعقل والقدرة، إضافة إلى الملكات الأخرى التي تنصاع للعقل في تنفيذ أوامره استجابة لإنذار الخوف.

إنَّ خوف الإنسان فطري له علاقة وطيدة بالعقل، بينما خوف الحيوان غريزي عشوائي؛ فالحيوانات الضارية قد تدفعها غريزتها إلى الخوف والهرب والفرار حتى وإن عضّها ألم الجوع أحيانًا، وقد تهاجم وتقتل وتبطش دون خوف وإن كانت شبعى أحيانًا أخرى، ذلك أنّ الغريزة أملت عليها أشياء لا نستطيع أن نفهمها نحن، ولا هي تستطيع أن تفسّرها لنا، إذ أنّ الحيوانات المفترسة تخاف الإنسان في أحيانٍ كثيرة على الرُّغم من أنّها لم تجنِ جناية ولم تقترف ذنبا بحق هذا الإنسان، وكثيرا ما تهاجمه وتبطش به مع أنّها ليست جائعة، ولا الإنسان جنى عليها جناية، أو اقترف بحقها ذنبا، فهي تفعل هذا وذاك لصفتها وسطوتها وبطشها، وتفعل ما تفعل ولا تبالي، فإن قتلت وبطشت لم يرقّ قلبها ولم تتألم، وإن تركت فريستها، فهي لم تتركها رحمة بها ولا شفقة عليها، وكلا الحالين لا يقدح في حيوانيَّتها.

إذن التساؤل المطروح ما الذي يدفعها إلى الخوف أو عدمه؟

إنَّ الإجابة على هذا التساؤل هي ظنيّة أكثر منها يقينيَّة؛ ذلك أنَّ الإنسان عندما يتملّكه الخوف، تظهر منه ردود أفعال تجاه ذلك سلبا أو إيجابا، ويستطيع أن يعبّر عن خوفه لنفسه، وأن يفصح عن خوفه للآخرين، ومن ثمّ يتصرّف تجاه المخاوف بطرق شتى ووسائل عديدة، أمّا هذه الحيوانات ولاسيما الضارية منها، لا نستطيع أن نحكم على خوفها وإن أدبرت أمامنا مسرعة، ولا يمكن أن نحكم على عدم خوفها وإن أقدمت على البطش في ضحيتها، غير أنّ الذي يبدو لنا أنّ مقياس الخوف الذي أسقطه الإنسان على الحيوان، هو تعبير عن شعورٍ ذاتي للإنسان حال الإقدام والإحجام في الخوف وعدمه، فإن هربت هذه الحيوانات مدبرة أمام الإنسان، ظنّ أنّها خائفة، وإن أقبلت عليه حكم بأنّها غير خائفة.

فمن أين أتى بهذا الحكم؟

نحن لا نشكّ أنّها تخاف، ولكن نشكّ أنّنا نستطيع تقدير لحظة الخوف، لأنّ تعبيرها عن حاجاتها أو ما تشعر به في انفعالاتها وردود أفعالها لا يستقيم القياس عليه بالإقبال والإدبار أو بالهدوء والثوران، لأنّها لا تحتكم في ما يواجهها إلى موجّهٍ عاقل، ولا تفصح عمّا ينتابها، وإنّما هي غريزة تتحكّم بها أو تفرض نفسها عليها؛ فتنصاع لذلك استجابة للغريزة، إذ أنّها لو كانت تعرف الخوف بالمعنى الإنساني، لما أكل الضبع أولاده، فكيف تخاف الضبع على أولادها ثمّ تأكل بعضهم، ولو أنّ ابن الضَّبع كان يستشعر الخوف من والديه لهرب قبل أن يأكله أحدهما.

ثمّ إنَّ كثيرا من الحيوانات العاشبة كالغزلان والظباء والأبقار والجواميس في الغابات، تعيش جنبا إلى جنبٍ مع الحيوانات اللاحمة مثل الأسود والنُّمور والفهود والضباع، فالحيوانات العاشبة تشكّل مصدر غذاء يكاد يكون وحيدا للحيوانات المفترسة، فلو كانت ترى فيها مصدر خوف لما أقامت معها، نعم تكون المطاردة على أشدّها بين المفترس والطريدة، ويثير ذلك بقية القطيع، إلاّ أنّ النِّهاية الحتمية للطريدة لا تدفع القطيع إلى مغادرة المكان، وكأن الأمر يعني الضَّحيَّة ذاتها ولا يعني نوع الضَّحيَّة، وهذا يعطينا مؤشِّرا على عدم خوفها؛ وذلك عندما تهاجم طريدة واحدة، يبدأ القطيع بالسير على غير هدى، وعندما تقتل الضَّحيَّة وتُفترس، يعود الأمر على ما كان عليه من المعايشة في الرقعة الجغرافيَّة بين الضَّحيَّة القادمة والقاتل المفترس.

إنَّ الخوف عند المخلوقات الأخرى غير الإنسان هو غريزي بحت، قائم على فعل وردّة فعل، وبانتهاء الفعل تنتهي ردود الأفعال المضادة، إذ لو أنّ الحيوانات يسكنها الخوف كما يسكن الإنسان وهو جزء منه لا يفارقه، لاتخذت تلك الحيوانات سبلا تناسب حيوانيتها باتقاء مخاوفها، والذي نظنّه أنّ خوف الحيوان ليس خوفا بالمعنى الإنساني، وإنّما هو نوع من استشعار خطر قد يكون أيّ واحدٍ من أفراد القطيع هو الهدف، فإذا تمّ اقتناصه زال بزواله الخطر المستشعَر.

وهكذا نرى علاقة الخوف بين بقيّة الحيوانات الأخرى من الأكبر والأصغر، والأقوى والأضعف، وتبقى مسألة مهمة في هذا الصدد، وهي أنّ

الله تعالى بيّن لنا تصرّف حيوان وإن كان حشرة، ولكن هذا ينسحب على جنس الحيوان، حيث قال تعالى عن النحل: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا}[2].

فعدم العقل يشترك به جميع الحيوان، من الحشرات والطِّيور والسِّباع والحيتان وما إلى ذلك، ولما كان النَّحل من الحيوان، والله سبحانه وتعالى أوحى إليه وأخبر عنه؛ فيمكن القياس أنّ الله تعالى أوحى إلى بقيّة الحيوان واكتفى بالإخبار عن النّحل الذي أوحى له، والوحي هنا أقرب ما يكون إلى نوع من البرمجة التي تعمل بها الحيوانات وفق ما قرّر الله تعالى في خلقها حسب غريزتها الذي يكون الخوف جزءا منها لحظة الخوف، لأنّ الخوف لا يسكن الحيوان كما يسكن الإنسان؛ فالإنسان خوفه فطري، والحيوان خوفه غريزي، وعليه فالخوف يبقى قائمًا في الإنسان لأنّ الفطرة ثابتة، بينما إن كان ثمّة خوف عند الحيوان؛ فهو خوف غريزي يزول بمشبعاته بطريقة يدركها الحيوان نفسه بما قرّر الله تعالى في نفسه من وحي واستشعار لا عن فطرة ولا عن فطنة، وبون كبير بين الفطرة المرتبطة بالعقل والعاطفة، وبين الغريزة في استشعار الخطر وما يقابلها من ردّة فعل تجاه الخطر المستشعر.

إنَّ الخوف لدى الإنسان لم يرتبط بالغريزة، وإنّما ارتبط بالفطرة والعقل المميّز الذي أثقل كاهله بالمخاوف؛ ولذا فإنّ هذا الأمر يسبب له كثيرا من

[2] – النحل 68، 69.

الهموم والضغوط النفسيَّة، مصدرها التحسّب من المخاوف التي يبحث لها عن حلول، أو دوافع تدفع عنه المخاطر التي تحملها مخاوفه، ولذا يسعى جاهدا في إشغال عقله للتوصّل إلى الموانع التي تقف حائلا أمام المخاوف ومخاطرها، وعندما لا يحصل على ما كان متوقعا، يظلّ الخوف قائمًا في نفسه، وحتى لو حصل على ما يريد؛ فقد لا يكون راضٍ عنه تمام الرضا، ذلك أنّ الصورة التي كان يتخيّلها قبل تحقيق مصدّات الخوف، كانت في عقله أبهى من الواقع.

ولذا بعد حصوله على ما يريد من درء مخاوفه، يظلّ يعاني من القلق خوفا من زوال ما حصل عليه، ولذا فالخوف عند الإنسان لا يفارقه بحال من الأحوال.

الخوفُ صِفة فطريَّة:

في نفس الإنسان يكمن العديد من الصِّفات التي يمثل مجموعها تحقّق التمايز الإنساني المتفرّد عن غيره من المخلوقات، لكن هذه الصِّفات لا تكون ظاهرة دائمًا لتطرح نفسها بمناسبة أو بدونها، فهي تعتمد على إثارة خارجيَّة تمنحها ظهورا متباينا لا يكون فيه تشابهٌ حاصلٌ، وهذا يطرح التفاوت الإنساني في الكيفيات التعبيرية التي يكون من ورائها، فلا يكون هناك أيِّ اتفاق ممّا يطرح أن الكيفيَّة الحاصلة لا تنتمي إلى أيِّ مرجعية أو إلى أيِّ معيار يكون من ورائه وضع ضوابط أو شروط يكون من ورائها وضع حدود واضحة المعالم، وهذا الأمر يتبيّن من خلاله، أنّ الخوف يرتبط بالفعالية

الإنسانيَّة ضمن توجيه يتّسم بوجود إدراكات واعية تسيّر الأمور نحو مدارات واضحة المعالم، فيكون الانزواء غير حاضر كونه يتقوقع على نفسه ولا يقرأ الأمور الحاصلة بالكيفيَّة التي يعقبها إيضاح واضح يمنح الحلول ارتماء في أحضان واضحة المعالم بعد أن تجد ما يمنحها سمة المرور الصحيح ضمن التشكيلات الحياتية الحاصلة، إلّا أنّ من المفارقة أن نجد الكثير ممّن يختلق الأطروحات المختلفة من أجل أن يصل إلى حالة البينية المفترضة التي تغيب فيها الإحالات المقنعة، فتكون بعد ذلك السببية المطلوبة خارج إطار التنظير المرتقب، وهذا يجعل الأمور تتّجه نحو تبعات متعدّدة، يكون من ورائها الاتساع المفاهيمي غير خاضع لحدود واضحة المعالم، رغم أنّه أدخل نفسه في مدارات واضحة منحت نفسها أسلوب التوقّع المنضبط ضمن أصول لا يمكن الانفكاك منها.

والخوف هو أحد هذا الصِّفات الكامنة في النَّفس الإنسانيَّة، لا يمكن أن تظهر علاماتها أو دلالتها دون وجود مؤثرات خارجيَّة، ومن العبثيَّة القول أنّ الخوف دائم الظهور على الإنسان، وذلك لأنَّ هذا القول يطرح التعدّد المماثل لباقي الصِّفات، وهي بدورها تريد حيّزا في هذا الظهور ممّا يؤدِّي الأمر برمّته إلى:

انتفاء وجود استثارات متحقِّقة في وقت واحد، وهذا يلغي التعدّد الافتراضي الذي يدخل الإنسان في إعدادات غير منتمية له، ولا تصلح له.

الفطرة التي خلق عليها الإنسان تحقّق فيها التعدّد في الصِّفات لكن لم يتحقّق فيها التعدّد في الظهور في آن واحد.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم مصداقا لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[3]، فإذا ما قورن مع غيره ممّا خُلق؛ فهو بدون شكّ لم يخلق على الكمال، ولأنّه كذلك إذن لا بدَّ أن يكون الخوف معطية من معطيات خلقه، وهنا يكون الخوف أحد الامتدادات التي تطرح أساليب البحث المختلفة ضمن تدويرية مقنعة، يكون وجودها حافزا إلى وجود بقية الصِّفات التي يكون توقّعها حاصلًا في المستقبل ضمن سياق الادراكات الاستشرافيَّة التي تجعل المستقبل قريب الوقوع من خلال الوقوف على ثنائيَّة الممكن المتوقّع والممكن غير المتوقّع؛ فبهذه الثنائيَّة الافتراضيَّة يمكن تسجيل الكثير ممّا يمكن تسجيله دون الخروج عن الخطّ النّمطي المتعارف عليه؛ ذلك أنَّ كلّ التداخل الحاصل يمثّل إفضائية تراتبيَّة تطرح الاستمراريَّة، لكن هذا الطرح يكون بوعي واضح يقف على السبب والمسبَّبات، فيمنح الوقوف مديات بعيدة يكتسب من خلالها زخما من التوقّعات التي يُبنى عليها الكثير ممّا يراد له أن يكون في دائرة التحقُّق.

ولذا كلّ ما خُلق يكون الخوف معطية من معطياته، فيكون التشكيل الخلقي حاصلًا في الكيفيَّة التي عليها الإنسان، سواء أكان على الضعف أم على القوّة، فلا يكون هناك انزياح مفترض، لأنَّ الانزياحات تكون غير

[3] – التين 4.

حاصلة؛ كون الإنسان يكتنفه تعدّد حاصل يظهر في الأوقات التي يكون ظهوره حالة مطلوبة، تتحقّق من خلالها جوانب مختلفة؛ فيكون من ورائها غايات تمثّل النِّهاية التي أرادها المستثير الثَّاني، وهذه الإرادة أيضًا تدخل باب التعدّد السلبي والايجابي الذي يفضي دائمًا إلى نهاية مفتوحة الوقوع ممّا يصاحبها افتراضات متعدِّدة تكون أكثرها ملبِّية لمستثير الخوف.

إنَّ قضية المستثير نجد أنّها تمثل المركزية التي يجب أن تكون في ظهور الصِّفات المتعدّدة والمتنوعة، بوصفها الإيقونة التي تحرك الظهور المطلوب للخوف، ونعني بالظهور المطلوب أنّ صفة الخوف الكامنة تكون متماثلة للسبب الذي أخرجها إلى حيّز الظهور، وهنا يكون في الأمر تفاوتا مرتبطا بين الصِّفة ونسبة المثير، فيكون الظهور متباعد الحضور في الحيّز الافتراضي الذي يجب أن يشغله، فيتعدّد شكل الحضور بتفاوت وقوع المثير، وهنا تظهر الصِّفة التي يفترض أن تحقّق ما يمكن تحقيقه من خلال الظهور التي تكون عليه.

ويمثّل الخوف مفردة من مفردات الإنسان فتكون الإخافة حاصلة ضمن ارتباط واضح بثنائيَّة (الضعف – القوة)، وهذا يفضي بنا إلى أن نقول:

كلّ مُخيف يخاف إلّا المخيف المطلق يُخيف ولا يخاف، وبما أنّ الخلق كلّ الخلق لم يخلق على الكمال، إذن خُلق والنقص فيه، ولكن إن جدّ بلغ التمام الذي يمكّنه من البقاء على حسن التقويم، وهذه خاصية بالذين يتذكّرون ويتفكّرون ويتدبّرون، وهنا تنبري مجموعة من الانفتاحات النصّية

التي يكون من ورائها بلورة الأفكار المرادة؛ فيكون التعالق سمة افتراضيَّة بينيّة تحاول أن تحول في أروقة تكون نهايتها قريبة من التمام المنشود.

إنَّ الخوف غريزة لا علاقة لها بأنّ تكتسب؛ فما يكسب هو الذي يتمّ تعليمه أو الذي يتمّ التأهيل به، ولذا فإنّ الخوف لا يحتاج إلى مهارات، فالخوف غريزة فطريَّة مثله مثل غريزة الظمأ والجوع والجنس، إلّا أنّ الخوف يتعلّق بالمعارف العقليَّة، أمّا الغرائز الأخرى فهي تتعلّق بما يستوجب إشباعات مادّيَّة، فالظمأ مشبعه الماء، والجوع الطعام، والجنس الممارسة.

أمَّا الخوف فلا يحتاج إلى مثل هذه الإشباعات، بل يتطلّب إجراءات وقائية حتى لا يحدث ما هو متوقّع وما هو غير متوقّع.

وهنا يكون الخوف قد سار في طريق تتعدّد فيه الإجراءات المختلفة والمتنوعة، فتظهر بذلك الاختيارية القائمة على رؤية واضحة الملامح، فيكون الاختيار ملبيا لما يجب أن يكون وفق المنظور المطلوب، ممّا يحدث انفراجا في التقلُّبات الحاصلة والتي تسعى إلى إيجاد أمكنة لها، تكون إيضاحاتها ذات سمة تنويرية، تتّسع بحسب الحاجة التي تملي عليها كي تصل إلى الافتراضات المتعدِّدة، والتي يكون من ورائها إيجاد أنساق حقيقيَّة تختطّ البداية التي يكون من بعدها التحقّق المطلوب.

وتكون الإجراءات باحثة عن أصول تريدها وأصول هي تبتدعها نتيجة القراءة الواعية التي تمنح الخوف أبعادا جديدة؛ فتكون فيما بعد حالة من الحالات التي يُراد منها تثبيت ما كان واضحة المعالم تعدّ منطلقا لما يجب أن

يكون وفق المنظور الثَّاني الذي تَبنّى البحث عن التحقّق، هذا الأمر يفضي إلى إيجاد ارتباطات بينيّة حلولها قد تكون غير متوافقة كثيرا، إلّا أنّها تصب في قالب واحد يكون من ورائه المراد.

عليه يكون الخوف حالة استباقية يبنى على أساسها الحلول المفترضة، فالاكتناف حاصل، والظهور حاصل، إلّا أنّ الاتساع المطلوب يسمح بإيجاد حركة حرّة تمنح الإحالات المقترحة مديات إيجابيَّة في كثير من الأحيان، وهذا الأمر يجعل الخوف مرتكزا قويا وإن كان النظر إليه من باب الفطرة يمنحه خمولا ارتداديا يجعله من بين السَّلبيَّات التي يمكن أن تحصل، والتي تكون نتائجها خاضعة في كثير من الأحيان إلى افتراضات بالية، وهذا الأمر ينافي الإيجابيَّة التي يكون عليها، فالسَّلبيَّة التي تلوكها الألسن أرادت أن تطمس الملامح الإيجابيَّة التي تظهر في الخوف، وذلك من خلال الارتماء في أحضان الفطريَّة التي يرون فيها أنّها مدعاة للسلب المفترض.

تتعدّد الغرائز وتتعدّد مشبعاتها بطبيعة الحال، وبما أنَّ الغرائز المادّيَّة لها مشبعات مثل ما ذهبنا إليه في الظمأ والجوع والجنس، إذن فما هو المشبع لغريزة الخوف؟

ألا تكون السَّكينة هي المشبعة لغريزة الخوف؟

إن كان الأمر كذلك فما هي محقّقات هذه السَّكينة؟

ألا تكون السَّكينة والأمن والطمأنينة مشبعات للخوف؟

إذن الخوف لا تشبعه المادة؛ ولذا يتماثل مع تلك الغرائز من حيث كونه لا يلتقي معها مادّيّا، ولهذا فهو لا يتماثل معها في مشبعاتها المادّيَّة.

ومع أنَّ السَّكينة هي المشبع الرئيس للخوف إلّا أنّ هذه السَّكينة لها من المحقّقات ما هو مادّي وما هو معنوي، فالإيمان جزء من محقّقات السَّكينة والاطمئنان، والمعاش بالنسبة للعمل، والغذاء بالنسبة للإنتاج، والسكن بالنسبة للإيواء، والدفء بالنسبة للأبوَّة والأمومة.

هذا الحضور المادّي والمعنوي في المشبعات يطرح التغاير بينها، ممّا يسمح بوجود افتراقات عدّة تكون منتمية لأصول لا يمكن الانفكاك عنها دون تحقيقها، وهذا يوضّح النتائج الظاهرة ضمن صيرورة الوجوب التي يكون من بعدها الانتهاء؛ فتكون النِّهاية أشبه بسور عظيم تسقط عنده بعد ذلك كلّ الافتراضات التي لا تنتمي في حقيقتها إلى ما يسمح لها بأن تكون منزوية.

عليه: يمكن القول أنّ الاندماج بين الرُّح والمادَّة يفضي إلى ما هو مشبع للخوف، ولسائل أن يسأل كيف يمكن للمادة أن تكون مشبعة للخوف؟

نقول:

يتعرّض الإنسان في حياته إلى كثير من المخاطر المتعدّدة والمتنوّعة، فيمكن له أن يقدّر حجم هذه المخاطر، هذا التقدير الذي يصل إليه سيكون على أساسه التصرّف المستقبلي الذي يكمن فيه درء المخاطر أو الابتعاد

عنها بشكل يكون هو بعيدا عن كلِّ خطر، هذا التصرّف يكون مبنيا بطبيعة الحال على أسس واضحة المعالم تتّفق مع نوع المخاطر، فالسيول والأعاصير والزَّلازل المدمّرة على سبيل الافتراض يكمن فيها الخطر، فتكون النِّهاية الافتراضيَّة حاصلة حين يكون التقدير مبنيّا على قراءة علميَّة صحيحة، وهنا يكون الخوف مستشريا لدى النَّاس ممّا يحملهم على إيجاد حلول يكون من ورائها إسقاط الخوف؛ فالذي ترتّب على القراءة سيتحقّق حين تصل السيول والأعاصير إلى منازل النَّاس، ففي السيول يكون الحلّ مثلا محاولة تصريف أكبر قدر من المياه إلى أماكن بعيدة تكون ملبِّية لهذا التصريف، فيقتضي الأمر شقّ كثير من القنوات التي تقوم بهذا الإجراء، وكذلك الأعاصير التي يكون من نتائج القراءات العلميَّة لها، التفكير في إيجاد كيفيَّة ملبِّية لبناء جديد يحمي ما يمكن حمايته حين تجتاح الأعاصير المدن، حتى بالنسبة إلى الزَّلازل نجد في اليابان وغيرها من البلدان التي تحصل فيها الزلازل باستمرار، أنّ أساس البناء يكون خاضعا لكلّ ما من شأنه أن يكون قادرا على مواجهة الهزات الأرضية، فعند حصول هذه الهزات يبقى البناء كما هو، لأنَّ بناءه كان خاضعا للأسس التي تمنحه المقاومة والاستمرار التي نبّه عليها الخوف.

عليه ألا يكون الجانب المادي هو المشبع لغريزة الخوف؟ فحين يتحقّق ما ذهبنا إليه في مواجهة السيول والأعاصير والزلازل، ألا يكون الخوف قد تلاشى نتيجة الإشباع المادّي الذي أفضى أن تكون النتيجة بهذا الشكل؟ وهنا يكون التشكّل المادّي والرُّحي متحقِّقا، بل ويؤسّس إلى إيجاد مشبعات

للخوف ضمن تراتبية تنمّ عن وجود ائتلاف حقيقي يشارك في بلورة الكثير من النتائج التي يكون من ورائها تحقّق المشبعات بصرف النظر عن طبيعة التشكيل المراد.

أمَّا السَّكينة مع أنّها روحيَّة (غير مادّيَّة) إلّا أنّها لا تتكون على الكمال والتمام إلّا بتداخل الجانب الرُّحي مع الجانب المادّي أو الجانب العاطفي مع المادّي؛ فعلى سبيل المثال: عاطفة الأبوَّة والأمومة ليست مادّيَّة ولكنّها لا تنتج إلّا من أب وأم (مادة) أي أنَّ الإنسان في ذاته مكوّن مادّي ولكن في عقيدته وإيمانه وسكينته هو مكوّن روحي، ولهذا أنتج الأبوَّة والأمومة والإخوة والعمومة التي تحقّق سكينة الأبناء جيل بعد جيل.

تتناوب الصِّفات بالحضور في النَّفس حين يتحقّق الإشباع، فالسَّكينة تحلّ محلّ الخوف، والشبع يحلّ محلّ الجوع، والارتواء يحلّ محلّ العطش، ولأنّها تتناوب فهي لا تنتهي، ولكنّها ستظل تتناوب إلى النِّهاية، هذا التناوب يطرح الاستمراريَّة التي يتشكّل معها البحث عن المشبعات في كلِّ تنوّعاتها ممّا يخلق صيرورة مكرّرة تفضي إلى وجود ترابطات بينيّة بين كلّ الثنائيات التي يكمن فيها التناوب، فالإنسان نتيجة هذا التناوب سيمتلك نظرات متّسعة تتجدّد دائمًا؛ فيكثر عنده الخزين المعرفي الذي يؤدِّي به إلى إيجاد بدائل متعدّدة، لكنّها غير متكرّرة؛ لأنَّ المتكرّر لا يعود، وهذا يطرح التحديث الحاصل الذي يكون من ورائه طرح كلّ ما هو جديد بعيد عن الماضي وبدائله.

كيف يكون الخوف طبيعيّا حاله كحال الغرائز المادّيَّة؟

نقول:

كلّ شيء مؤسس على الفطرة التي خُلق عليها، سواء أكان على أحسن تقويم أم أنّه ما دون ذلك. ولذا فإنّ كلّ مُخيف بين الحين والحين يملؤه الخوف، فالأفعى على سبيل المثال التي تُخيف فإن تمت مواجهتها بالقوّة سيكون الخوف هو المتحكّم بها أو المسيطر عليها، وإذا نظرنا إلى ملك الغابة كما يقولون (الأسد) فهو الآخر كما يُخيف يخاف، وهكذا الإنسان الذي هو على حسن التقويم؛ فهو من الخائفين إذا ما تعرّض لمواقف تتطلّب منه أن يعدّ العدّة كي يتخلّص من الخوف.

وعليه فإنّ الخوف الذي هو شعور داخلي لا تناوب له إلّا بمعطيات خارج عنه.

ونتساءل:

إذا أجزنا أنَّ الخوف هو فطري ألا يعني ذلك أنّنا نجيز أنّه لا علاقة له بالإرادة؟

نقول:

نعم إنَّه فطري ولكن له علاقة بالإرادة.

فالإرادة توجّه الخوف نحو إيجاد كلّ ما يمكّنه من تحقيق المشبعات، لأنَّ بقاء الأمر ضمن حدود لا تشير إلّا لوجود الخوف مدعاة للتقوقع الصِّفاتي

الذي يُرى فيه الجانب السلبي دون الايجابي، كما أنّ الأمر المهمّ الذي لا بدّ من الإشارة إليه، أنّ كلّ الصِّفات ومن بينها صفة الخوف، لا بدّ من تأصيل أمر الإرادة فيها، وذلك كي يتحقّق فيها ثنائيَّة (الإيجاب والسَّلب)، فهذه الثنائيَّة لا يكون تحقّقها وفق الفطريَّة التي تنتمي إليها الصِّفات، بل وفق الإرادة التي يكون من نتائجها السلب والإيجاب.

ولسائل أن يسأل:

بما أنّ الأمر في دائرة الممكن يتحقّق أو يشبع بإرادة الإنسان، ألا يعني ذلك أنَّ علاقة طبيعيَّة تربط الطَّبيعي بما هو إرادي؛ فالجوع يحتاج إلى إرادة حتى يشبع، والخوف يحتاج إلى إرادة حتى يحقّق الاطمئنان.

ولذا من حيث أنَّ الغرائز تخلق خلقا إلّا أنَّ جميع الغرائز وفقا لقوانين الطبيعة ونواميس الحياة وشرائعها لا تشبع إلّا عن إرادة، فالعلاقة قويّة بين ذلك الغريزي وبين الإرادة المحقّقة للإشباع.

والإنسان بإرادته قادر على أن يشبع غرائزه بالعمل، وبإرادته إن لم يعمل فلا يشبع غرائزه، ولهذا كلّ شيء على المستوى الإنساني إن تحقّق سلبا أم إيجابا فلا يتحقّق إلّا بأيدي الإنسان، فإنْ عمل صالحا كان مصلحا لا مفسدا، وإنْ عمل طالحا كان على الفساد لا على الإصلاح؛ فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي تقدّم علميّا وتقنيّا وغزا الفضاء ولازال يغزو، وأنتج العدّة التي تحقّق السلام والتي تحقّق الفناء له وللآخرين؛ فهو بهذا قد سلك مسلك البحث عن اختيارية تكون مدعاة للوصول الافتراضي الذي كان

عند البداية، ممّا يجعل من النِّهاية الصورة الواضحة التي يظهر فيها الصلاح وعدمه.

إنَّ المخلوقات الأخرى غير الإنسان تخاف من غيرها الذي يشكّل خطرا عليها، ولا تخاف من جنسها كما هو حال الإنسان الذي يخاف من جنسه أكثر من خوفه من غيره؛ فأصبح الخوف هو اللغة السائدة بين بني الإنسان (بين أنا وآخر) وكأن الأنا والآخر ثنائيَّة ليست من جنس واحد؛ ولذا فالإنسان الخائف إذا استمدّ القوّة يصبح مصدرا للخوف أو الإرهاب.

وعليه: فالقاعدة (الخوف المتحقّق يحقّق القوّة) أي لو لم يكن الخوف ما تحقّقت القوّة، ولذا فالخائفون عندما يستقرئون المستقبل ويعدّون العدّة لتفادي ما يملؤهم من مخاطر، يصبحون على القوّة التي بها يتّصفون بعد أن كانوا يتّصفون بغيرها (بالضعف).

أمَّا الخوف كون فطريته ملازمة، فإنَّ هذه الملازمة تطرح الخوف بديمومة جبرية إن صح إطلاق مثل هذه التسمية، ذلك أنّ الوقتية غير متحقّقة، لأنّها لو تحقّقت لحدث الآتي:

لسقط الإنسان من الإنسانيَّة التي ينتمي إليها؛ ذلك أنَّ الخوف صفة تنفتح من خلالها تشعبات متعدّدة، ترمي إلى إيجاد حالة ترابطية بين النَّاس؛ فالخوف يحتّم على النَّاس جميعًا البحث عن الأسس التي تجعلهم يلتفّون حول مركزية يكمن فيها البقاء ضمن الدائرة الإنسانيَّة، وإن كانت في بعض الأحيان هذه الدائرة مفترضة، إلّا أنّها محاولة للبقاء ضمن تواصل مراد.

يمنح الخوف الإنسان البقاء بعيدا عن المخاطر التي يمكن أن تحدق به، ذلك أنّ الخوف يكون مانعا للإنسان من خلال التحسّب المستمر الذي يمدّه بوقائية تجعل كلّ ما من شأنه أن يكون خطرا ضمن انزواء في غياهب بعيدة.

يمثل الخوف حالة إدراكيَّة تتّسم بامتدادات بعيدة؛ فيبنى على أساسها تبعات كثيرة، فتنساق الأمور المختلفة نحو هذه الادراكات ليكون البناء بعدها مستوفيا للشُّروط البنائيَّة التي تكون فيما بعد الأساس الواضح.

إنَّ الخوف بفطريّته الملازمة، صفة تمثّل القوّة التي تدفع بالإنسان نحو المضي إلى تحقيق كلّ ما من شأنه أن يثبت إنسانيته أولا، ويدرأ عنه كلّ ما من شأنه أن يمثّل خطرا عليه ثانيا، وفي كلا الحالتين تكمن الإيجابيَّة التي يتمثّل فيها الخوف.

الخوف نقطة الانطلاق الموجبة:

لما كان الخوف من العواطف اللازمة للإنسان ويسكن في نفسه؛ فكان ذلك مؤشّر النقطة الصفريَّة، وهذا الخوف كامن في النَّفس عند نقطة الصّفر التي يمكن أن نعتبرها بداية الموجب كون الصّفر يدخل ضمن الأعداد، وهذا يعني أنّ وجود الخوف في نقطة الصّفر هو بحدِّ ذاته موجب لوجوده.

إنَّ الخوف يجعل النَّفس الإنسانيَّة والإنسان بكلّيته عند استثارة المخاطر للخوف في نفسه، يتأرجح بين السالب والموجب إلى أن يتمّ الاختيار من

العقل ودفع القرار إلى الإرادة؛ فإن اتجهت الإرادة إلى التوجس والحذر والخشية؛ فتكون قد سلكت مسلكا موجبا انطلاقًا من الصّفر صاعدا، وإن اتجهت إلى التخاذل والجبن، فقد نحت منحى سالبًا انطلاقًا من الصّفر نزولًا، وسنتناول المنطلقات الصفريَّة للخوف حتى نقف على الفوارق بينها وعلاقتها به موجبها وسالبها.

الخوف ليس التوجس:

الوجس الصَّوت الخفي والتوجس التسمّع، والإيجاس وجود ذلك في النَّفس، والخيفة هي أدنى درجات الخوف، وهي الحالة التي عليها الإنسان تعادل الوجس وتساويه، فهل يكون الوجس مدخلا للخوف أم مفتاحا لطمأنينة؟

الوجس لا يكون بداعي الخوف المنبّه على المخاطر، وإنّما بحسابات فوت ما يرجو المتوجس من تحقيقه بما يداخله من حديث النَّفس، وينقسم الوجس إلى قسمين:

الثَّاني: خارجي وهو أقرب ما يكون إلى استراق السَّمع بداعي الاطلاع أو المحبة أو المعرفة دون أن يطّلع على المتوجس أحد.

الثَّاني: حسابات ذاتيَّة بين العقل والنَّفس على التناوب، تنتاب الإنسان عندما يريد أن يقدم على عمل يأمل تحقيقه بتوجسه منه وإن صاحب ذلك شيء من الرهبة لا ترقى إلى الخوف ولا تدفع إلى الاضطراب.

فهذه التوجسات نوع من الهواجس تميل بالنَّفس إلى الاطمئنان أكثر منها إلى الاضطراب على عكس الوساوس التي تشرّع الأبواب لما يؤدِّي إلى الجبن.

والوجس هو أدنى درجات الخوف، والخوف اسم التكبير، ويُصغّر على خُوَيف، وأصغر من خُوَيف يأتي خيفة، ولذا فإنّ الوجس في القرآن الكريم جاء مصاحبا لأدنى درجة من الخوف:

قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَة مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}[4].

قال تعالى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَة قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}[5].

قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَة قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}[6].

فأوجس في نفسه خيفة موسى، وهنا يبدو أنَّ الوجس إذا تعاظم ربّما يؤدِّي إلى الخوف؛ لذلك خاطبه الله تعالى بقوله: لا تخف إنّك أنت الأعلى، فلمّا أوجس في نفسه خيفة، جاءته البشرى من الله تعالى؛ فإيجاس موسى لم يكن خوفا ولن يرقى إليه، بدليل أنّ كلّ ما يترتّب على الوجس تكون نتيجته

---

[4]. طه 67، 68.

[5] – الذاريات 28.

[6] – هود 70

مرضية، لأنّ إثارة شعور التوجس يفتح مغاليق الطمأنينة، فكان أن بشّره الله تعالى بعد توجّسه بأنّه سيعلو على فرعون، وإبراهيم صلى الله عليه وسلّم عندما أوجس من الملائكة، نفوا عنه الخوف وبشّروه بغلام عليم.

وفي الآية الأخرى عندما قدّم إبراهيم طعاما لضيوف امتنعوا عن الطعام (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَة) وهنا يتجلّى معنى الوجس بأوضح صوره، إذ أنّ الضيف الذي يأتي وخاصة في ذلك العصر، إنّما قادم من سفر بعيد وأنّه غريب أوّل ما يقدّم له الطعام والشراب؛ فعندما امتنعوا عنه أوجس منهم خيفة عدم فهم مرادهم في القضية التي جاؤوا من أجلها، وتوجّسه صلى الله عليه وسلّم كان حديثا بينه وبين نفسه، وتساؤلات عمّا يريدونه، ولكن عندما أخبروه بأنّهم قد أُرسلوا إلى قوم لوط علم حقيقتهم فانتهى توجّسه بالوقوف على مبتغاهم.

وعلى هذا فالتوجّس شعور ينتاب المتوجّس يدفعه إلى البحث عن حلّ للقضية المتوجس منها ليس بدافع الخوف، وإنّما بدافع المعرفة من الذَّات وليس من الموضوع، لأنّ التوجس قائم على حوار بين المشاعر النفسيَّة وإجابات العقل عنها.

الخوف ليس الحذر:

لا يمكن أن يكون الحذر خوفا كما جاءت به المعاجم اللغويَّة، والذي نراه أنّ الحذر شعور هو أقرب إلى التوجّس، ولكن يفترق عنه بأنّ التوجّس يكون في الذَّات، بينما الحذر يكون من الموضوع أو من عامل خارجي قبل

وقوع الخوف، وهو تنبّه في أخذ الحيطة كي لا يقع الخوف مصداقا لقوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّة وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}[7].

إنَّ القتل الذي كان يمارسه فرعون بحقّ المواليد الذكور من بني إسرائيل لم يكن خوفا منهم، ولو كان خائفا وقتها ما استطاع أن يقتل من قتل من المواليد الذكور، وهذا القتل الذي كان يجريه عليهم، إنّما هو حذر في أخذ الاستعداد والحيطة كي لا يقع خوفه منهم، ولذا الآية بهذه الصيغة في النصّ، ذلك أنّ الحذر هو احتراز من مخيف، ليس من الخوف وإنّما أتى الحذر قبل وقوع الخوف.

إنَّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا يحذرون جميع المواليد الذّكور لا عن علم بهم ولا عن دراية، ولكن الذي يعلمونه أنّ مولودا بعينه من هؤلاء ستكون نهاية فرعون على يديه، فدفعهم الحذر إلى قطع الطَّريق على الخوف الذي سيأتي لاحقا بدليل قوله تعالى: (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) وحذرهم هذا من المولود الذي سيأتي معه الخوف، إذن فالخوف أمر يقع بالمواجهة، والحذر هو احتياط لأمر كي لا يقع بالمواجهة.

[7] – القصص 5، 6.

الخوف ليس الخشية:

الخشية وإن وردت في معاجم كثيرة بمعنى الخوف، إلاّ أنَّ سياق نظم الكلام نادرا ما يأتي بهذا المعنى، ولذا فإنّ لها أكثر من معنى حسب سياق الكلام مثل الرَّجاء والكره، فقد جاء في مختار الصحاح قول الشاعر:

ولقد خشيت بأنّ من تبع الهدى سكن الجنان مع النبي محمدِ[8]

وهي بهذا المفهوم لا تدلّ إلّا على الرَّجاء، فلو كان الخوف هو الخشية ما اجتمعا في آية واحدة للدلالة على مفهوم واحد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَشون سُوءَ الْحِسَابِ}[9].

فلو كانت الخشية خوفا لكان الكلام (يخافون ربّهم ويخافون سوء الحساب) ولو كان الخوف خشية لكان الكلام (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ).

ولكن لما كان لكلّ كلمة معناها في مفهومها الدلالي اجتمع الخشية والخوف ليؤدِّي كلٌّ منهما مفهومه ودلالته فيما أُريد له من مضمون؛ فكان الرَّجاء من الله تعالى، والخوف من سوء الحساب، ولا معنى لمفهوم: يخافون ربّهم ويخافون سوء الحساب لضعف التركيب وركاكة اللفظ.

---

[8] – مختار الصحاح ج1، ص196.

[9] – الرعد 21.

وأمّا قوله تعالى: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانا وَكُفْرا}[10]. فهي أبعد ما تكون عن الخوف لما يأتي:

آ ـ لو كان العبد الصالح خائفا من الله تعالى في هذا الموضع ما كان ليقتله.

ب ـ لو كان خائفا من الغلام ما تجرّأ على قتله.

ج ـ لو كان خائفا ما أدخل موسى صلى الله عليه وسلّم في هذا الخوف، لأنّ موسى لم يصرّح له أنّه خائف أم لا، إذ قال (فَخَشِينَا) وأدخل موسى في الخشية.

إنَّ فلسفة اللغة ليست بمعاني ألفاظها، وإنّما بدلالة مفاهيمها على تلك المعاني بما تحمل من مضامين، فإذا انتفى الخوف عن العبد الصالح وعن موسى في مواضع احتمال الخوف؛ فلم يبقَ للخشية هنا إلّا مفهوما واحدا من الدلالة وهو(الكره).

ولو أعدنا صياغة معنى الكلام من مفهوم الآية في مثالين من مضمون الآية على مفهوم الخشية في هذا الموضع وفق هذا السِّياق لتوضيح المفهوم بعبارتين نستبدله بالخوف مرة وبالكره مرة أخرى مكان الخشية، سنقف على حقيقة المفهوم فنقول:

1 ـ فخفنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا.

[10] – الكهف 80.

2 . فكرهنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا.

فأيّ العبارتين أقرب للخشية وأدلّ على مفهومها؟

وتأتي بمعنى العلم والمعرفة في مواطن التخصيص كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاس وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}[11].

ومثل هذا جواب هارون لموسى صلّى الله عليهما وسلّم حين قال: {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[12].

من الملاحظ في قوله تعالى:(ألم ترَ) هو خطاب للعموم، ثمّ ذكر بعد ذلك آيات الدلالة على الخلق والقدرة والعظمة، وليس كلّ أحد يدرك هذا، ولما كان ذلك كذلك، حوّل خطاب العموم إلى إدراك الخصوص الذين يعرفون هذا ويعلمونه، فجاء بأداة الحصر(إنّما) التي قصرت الخشية على العلماء لعلمهم ومعرفتهم بما ضرب الله به المثل من آيات الخلق الدالة على قدرته، وبالتّالي فأهل الخصوص بعلمهم ومعرفتهم (خشيتهم لله) يبيّنون ذلك للعموم من خلال الخشية.

وأمّا من قرأ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) برفع لفظ الجلالة (اللهُ) ونصب (العلماءَ) وهي إحدى القراءات، فتكون الخشية بمفهوم التكريم

[11] – فاطر 27، 28.

[12] – طه 94.

والتبجيل والإعظام من الله تعالى للعلماء بسبب معرفتهم به حقّ المعرفة والعلم.

ومفهوم الخشية الذي يدل على العلم ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم لاسيما أنّها عندما ترتبط بالتذكير، منها قوله تعالى: {طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَة لِمَنْ يَخْشَى}[13].

وقوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلا لَيِّنا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[14].

وقوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى}[15].

فالتذكير لا يكون إلاّ لمن عنده معلومة سابقة كان قد نسيها، فتأتي الخشية التي اختزنها في ذاكرته؛ فتذكره بها، لأنّ التذكير لا يكون للخائف، وإنّما للعارف.

وسبب اختلاط مفهوم الخوف بالخشية على ما نعتقد، هو اللبس الذي يحصل لدى الكثيرين بين الذّات وبين الفعل المخيف الذي يصدر عنها، فالخشية تكون للذات والخوف يكون ممّا يمكن أن يصدر عنها من فعل كما قال موسى صلّى الله عليه وسلّم: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}[16].

---

[13] . طه 1 . 3

[14] – طه 44.

[15] – الأعلى 9، 10.

[16] – الشعراء 14.

إنّ موسى صلّى الله عليه وسلّم لم يكن خائفا من فرعون وملئه، وإنّما من فعل القتل الذي سيصدر عنهم.

ولذا فالخوف يرتبط بالفعل الذي يصدر عن الذَّات، والخشية تكون من الذَّات نفسها كما قال تعالى: {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاس كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَة}[17].

الخوف ليس التخاذل:

التخاذل من الصِّفات غير الحميدة؛ فقد ترتبط بالخوف حينا وترتبط بالإرادة حينا آخر، والتخاذل هو عدم فعل ما يجب أن يفعل في الموقف الذي يجب فيه ممارسة الفضيلة أو إظهارها، ويكون ذلك في مواطن نصرة الحقّ وإظهار العدل أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر وما إلى ذلك من إظهار الفضائل أو ممارستها؛ فالذي لا يفعل ما يجب أن يُفعل؛ فقد ركب من التخاذل مركبا قلّ ذلك أم كثر، قد يكون بإرادة وليس خوفا مباشرا، ونقصد بغير المباشر ما يظنّه المتخاذل خوفا من وقوع خوف يترتّب عليه خطر؛ فيتّخذ من ذلك موقفا؛ ولذلك نهى الله تعالى عن هذا النَّوع المرتبط بالإرادة بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يفترض أن لا يكون، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

[17] – النساء 77.

الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}[18].

فهنا لم يكن التثاقل في عدم النهوض إلى الجهاد في سبيل الله خوفا مباشرا من المواجهة في القتال، لأنّها مرحلة لم يصلوا إليها بعد، وإنّما كان التنبيه على التخاذل خوف ترك ملذّات الحياة الدُّنيا بدليل ذكر المتاع الذي يتمتّع به الإنسان؛ فالخوف الذي يؤدِّي إلى التخاذل في هذا الموقف، لم يكن خوفا من الشيء، وإنّما خوف على فوات الشيء وتركه، بحيث أنّهم لم يصلوا إلى مرحلة الخوف من الشيء.

وفي هذا المقام مسألة لا بدّ من التنبيه عليها، حيث أنّ الخطاب عام لجميع المؤمنين في التثاقل المفضي إلى التخاذل الذي أمر الله تعالى بعدم الركون إليه، فكيف يتخاذل الجميع وفيهم المهاجرون والأنصار الذين رضي الله عنهم في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ويدخل النبي صلّى الله عليه وسلم في جملة المؤمنين وهو أوّلهم إيمانا وأعلى درجة فيه، والخطاب شمل جميع المؤمنين (يا أيّها الذين آمنوا).

إنَّ الذي يريد أن يقف على المفهوم، لا بدّ من معرفته للأدوات والوسائل التي تؤدّي المفاهيم، واللغة هي الأداة التي توصل المفهوم إلى دلالة معناه، فمن المعلوم أنّ بعض الخطاب اللغوي يشمل الجميع في التلقي مع استثناء البعض من الحكم، وهذا واضح جلي في النصوص القرآنية وغيرها

[18] – التوبة 38.

من النصوص مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[19].

فهناك من المؤمنين من يكون رزقه على قدر حاجته أو أقل من حاجته، فهل دخل في تلقي الخطاب؟

نقول: إنَّه دخل الخطاب وخرج من الحكم، وبالتَّالي فقد خرج من التخاذل، إذ أن الخطاب وإن كان عاما؛ فإنّ حكمه مخصوص على المقتدر.

وقد يأتي الخطاب على عموم العموم تلقيا وحكما، ومن يخرج عنه فقد دخل في التخاذل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[20]. فالصَّلاة هنا غير الصَّلاة المفروضة، وإنّما هي صلاة تطوّع من أجل الاستعانة بها على الشدائد في تثبيت الصبر؛ فمن ترك ذلك وقت الشدّة فقد دخل في التخاذل عن أمر كان وجوب الأخذ به أولى.

وقد يأتي الخطاب مخصوصا في الحكم، ويُدخل العموم في التلقي لدفع التخاذل بالخصوص عن العموم، وأنّ العموم داخل في الحكم وإن لم ينصّ عليه الخطاب مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرا

[19] – البقرة 254.

[20] – البقرة 153.

حَسَنا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما}[21]. فما كان للذين لم يتخلفوا من الأعراب وغيرهم، أن يتخلفوا في المرات القادمة كونهم لم يخاطبوا بما خُطب به المخلفون، وإنّما هم داخلون في الحكم قطعا وإن لم يردْ ذكرهم.

وعليه فإنَّ اللغة تخاطب الجزء بالكلّ، وتخرج البعض من الحكم، وتخاطب الكلّ وتدخل البعض في الحكم، وتخاطب العموم بعموم الخطاب والحكم؛ فيكون شاملا.

الخوف ليس الجُبنُ:

الجبن تنبيه سالب من الخوف على عدم الإقدام على الفعل، أيّا كان هذا الفعل، في النجدة والمروءة، أم في البيع والشراء، أم في الحرب والقتال، أم في الجدال والخصام، بحيث يستنهض الخوف من النَّفس الإنسانيَّة أدنى درجة من الانهزام وعدم مواجهة المواقف، سواء أكان الجبان منفردا أم معه صحبة ليلا أم نهارا، لما تظنّه نفسه أنّه يترتّب على الموقف الذي يفترض أن يكون، مخاطر تؤدّي إلى التهلكة وقد يكون الأمر ليس كذلك.

فهذه القضية مرتبطة بالجانب النَّفسي الذي فرض نفسه على العقل بطغيان العاطفة التي تصوّر للنَّفس أشياء غير واقعية وأحيانًا غير منطقية، وتبدأ النَّفس بتحويل هذه التصوّرات إلى إشارات معلوماتية مصدرها التهيؤات النفسيَّة الإنسانيَّة وتخيلاتها؛ فتزوّد العقل بمعلومات خاطئة عن

[21] – الفتح 16.

حقائق طبيعيَّة نتيجة اضطراب نفسي يجيّش العاطفة بحيث تطغى العاطفة على العقل، فينصاع العقل إلى روافد النَّفس بما تحمل من معلومات يختزنها العقل في الذَّاكرة، ويتخذ قراراته بناء على تلك المعلومات السَّلبيَّة؛ فتكون النتيجة الطَّبيعية أن تنصاع الإرادة للأوامر والقرارات العقليَّة في اتخاذ الموقف القائم على الحكم النَّفسي وليس على الاستنتاج العقلي.

إنَّ الوضع الطَّبيعي الذي يفترض أن تكون عليه النَّفس هو تقبل الواقع والتعامل معه وفق المساعدات العقليَّة السليمة في مواجهة حقائق الأمور خيرها وشرّها ونفعها وضرّها، ذلك أن كلّ أمر من الأمور له أدواته الخاصة به في التعامل من النَّفس والعقل والجوارح، وعندما تكون النَّفس مطمئنة والعقل سليم؛ فإنّ الإنسان يتعامل مع المخاطر التي ينبّه عليها الخوف في هدوء وسكينة وارتياح وطمأنينة، ولا يقف أثرها عند هذا الحدّ لدى البعض، بل ربّما تمدّه بقوّة إضافية تدفعه إلى الأمام وتحول بينه وبين الانسحاب؛ فتجعله يكرّ ولا يفرّ، يقدم ولا يحجم، بحيث لا يبالي أوقع على الخطر أم وقع الخطر عليه، وهنا ينصرف العقل باطمئنان النَّفس إلى الطَّريقة والأسلوب والأداة التي يتعامل بها مع الخطر، غير أنّ الانسحاب المفضي إلى الجبن بتنبيه الخوف السالب القائم على انعكاسات نفسيَّة سلبية، يؤدِّي إلى الانسحاب والهزيمة أمام الخطر الداهم، وهذا ما نجده عند قوم موسى صلّى الله عليه وسلّم عندما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة فقال لهم: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْما جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ}[22]

إنَّ موسى عليه الصَّلاة والسلام يعلم أنّ الجبن متمكّن في نفوسهم، ولذلك أراد أن ينتزعه من نفوسهم قبل أن يسمع جوابهم بدليل قوله (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) ومع ذلك فقد صدّقوا موسى بظنّه بهم أنّ هذه الأرض فيها قوم جبّارون؛ فهذا الجواب ينمّ عن نفسيَّة منهارة سكنها الجبن عن طريق السماع وليس من قبيل التجربة، ومع العلم أنّ رجلين منهم يخافون الله أوضحوا لهم سبل المسالك التي تفضي بهم إلى تجاوز الخوف السالب وتحوليه عن طريق الأسباب إلى خوف موجب، لم يدفعهم ذلك إلى إطاعة موسى صلّى الله عليه وسلّم، وخوف الرَّجلين يختلف تماما عن خوف بقية قوم موسى مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[23].

فهذان اللذان يخافان الله قد أنعم الله عليهما بهذا الخوف الموجب الذي يفترض أن يكون قائمًا في نفوسهم جميعًا، إلّا أنّ خوفهم من الجبارين جعل الجبن يتمكن منهم؛ فدفعهم إلى الانسحاب والهزيمة والعصيان، ولم يلتفتوا إلى نصيحة الرَّجلين، ولم يناقشوهما، لأنّه ليس لديهم أدنى استعداد للموقف

[22] – المائدة 21، 22.

[23] – المائدة 23.

بسبب الجبن الذي يتملكهم، لذلك أرادوا أن يصرفوا أنفسهم عن هذا الأمر وعدم الخوض فيه إلى أن ينجلي لهم بأسباب غيرهم: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[24].

فهذا التأبيد الذي تمسّكوا به اتجاه خالقهم واتجاه نبيّهم بما قذف الخوف من جبن في قلوبهم، كان سببًا في أن تكون الأرض المقدسة محرمة عليهم، ويتيهون في الأرض أربعين سنة نتيجة لذلك.

إنَّ الرَّجلين من الذين يخافون قد أنعم الله عليهما، وهذه النعمة لا بدّ أنّ سببها التقوى، فكان خوفهما مختلف، وبعبارة أدقّ أنّ منبّهات خوفهما كانت مغايرة لمنبّهات الخوف عند قومهما؛ ولذا كلّ ينظر إلى منبّهات خوفه وعمل على تلافي خطرها، فكان التلازم والترابط بين التقوى والخوف من الله، أمّا بقيّة القوم لم يتزودوا بزاد التقوى؛ فكان خوفهم من مخاطر الجبّارين، ولذا فإنّ هذا النَّوع من الخوف المفضي إلى الجبن يترتّب عليه أشياء أخرى من الألم النَّفسي الذي ينتج عنه الهم والحزن الذي يؤدِّي إلى اضطرابات نفسيَّة، حيث أنّ نسبة كبيرة من أسباب الأمراض الخطيرة ترجع إلى القلق النَّفسي والهموم والأحزان التي يسببها الخوف السلبي، والجبن يترتّب عليه عجز وكسل يؤدِّيان إلى زيادة الهم والحزن، ثم إن الجبن يترتّب عليه مضارّ كثيرة؛ فالجبان مترقبّ لا يهدأ باله ولا تسكن نفسه، لأنّه يخاف من نفسه ويخاف على نفسه، ويعيش في الخوف الذي يصبح له كابوسا يطارده،

[24] – المائدة 24.

فيحدث له الهمّ والحزن، وكذلك الجبن في الإنفاق، إذ أنَّ الذي يُمسك ماله لخوفه عليه من الضياع والهلاك تراه فقيرا، فإذا أنفق شيئا أو أجبر عليه؛ فقد تلزمه الهموم ويتراكم عليه الخوف، ولذا نرى كثيرا من النَّاس فقراء خوف الفقر وهم أصحاب مال وما ذلك إلاّ خشية الإنفاق.

إنَّ الجبن شرّ ما يتّصف به الإنسان من صفة يدفعه خوفه إلى التمسّك به، ولذا فإنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يكثر من الاستعاذة بالله تعالى من هذه الصِّفة لما يترتّب عليها من مضارّ، مصداقا لقوله صلّى الله عليه وسلّم: " اللهمّ إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال"[25]، وعليه لو كان للخوف شيء من هذه الصِّفات لكان الرسول قد استعاذ منه كما استعاذ من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل.

الخوف شعور استطلاعي:

يقف الخوف أمام اتساع كبير من المخاطر، والمخاطر بطبيعتها تتفاوت في الظهور، وهذا يملي على الطرف الآخر المتمثّل فيه الخوف إيجاد وسائل متعدّدة ومتنوّعة في سبيل الوقوف على الحقائق العامَّة والتي بظهورها يتّضح الكثير من الافتراضات والتأويلات والتوقّعات؛ فتكون مهمة الخوف من خلال هذا التشعُّب استطلاعيَّة، ونحن إذ نشير إلى الاستطلاعيَّة؛ فهذا من باب الاتساع الواجب تحقُّقه كما نعتقد، لأنَّ الاستطلاع يسبق وقوع الفعل

[25] – مسند أحمد، ج26، ص484.

المحقِّق للألم؛ فيؤدِّي إلى تجنُّب المحذور، والشعور هو ما ينتاب النَّفس من أخيلة قد تصدق على الواقع أحيانًا وقد لا تصدق عليه، ومردّ هذا الاستطلاع إلى الخوف الذي أثار الشعور بما يمكن أن يترتّب عليه من مكاره تلحق الأذى بالإنسان، لذلك كان هذا الشعور بمثابة استباق للحدث والتنبيه على ما يمكن أن يحدث ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع للتحصين ضد المكاره التي يمكن أن تحدث.

ولذا فالاستطلاع يولّد ثباتا في الأفكار التي يمكن أن تدخل دائرة البحث، وذلك من خلال التعرُّف عليها، ومحاولة إيجاد الحلول لها من مصادر متعدِّدة؛ فيكون بذلك الأمر قد خرج من التقليديَّة التي يمكن أن ينزوي تحتها ودخل معترك جديد يجد نفسه فيه بتنظيرات جديدة وبإحالات جديدة؛ فيتولّد عنده استشعار دائم بوجود الاستطلاع، ومعرفة المجهول الذي يلتفَّ حولنا وحول كلِّ مصادر الألم التي تتناوب علينا.

عليه يكون الاستطلاع حالة إدراكيّة نابعة من الخوف في سبيل الوصول إلى استشرافات جديدة غير التي نعتقدها سابقا أو نفترضها ضمن حدود الافتراض الذي نجد من خلاله الحلّ؛ فيكون لدينا الاتساع العام الذي يربطنا بتقنيات جديدة تتعالق مع الاستطلاع؛ فيصبح الترابط حاصلًا بينهما لإيجاد توافقات تمنح التنبيهات روافد جديدة تعينها على اكتمال فاعليتها، فيكون التنبيه في مثل هذه المواقف المكتملة التي نراها بحسب نظرتنا واقيا من أيِّ مصدر من مصادر الألم.

ونتيجة لاتساع مهمة الاستطلاع؛ فإنّه يحتاج إلى أدوات متعدِّدة ومتنوِّعة كي يقوم بالمهمة على أحسن وجه، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى تشعبات معرفية تجد صداها حاصلًا في البدايات التي كانت منطلقا لها؛ فتكون الأمور في هذه الحالة مرتمية في أحضان مواكبة لكلِّ العمليات المطلوبة، فيحصل لدينا نتيجة هذا التشعب، مصادر متعدِّدة نرى فيها الشّموليَّة التي يجب أن تكون، ذلك لأنَّ الحياة مخاطرها تتكاثر يوما بعد يوم، وربما تضاف مخاطر جديدة غير التي كنّا نعدّ العُدّة لها، وهذا يحتِّم علينا أن نجدِّد تفكيرنا ومعارفنا في محاولات دائمة للوقوف على ما يمكن أن يحدث وفق أية دائرة من الدوائر التي نتوقّعها، فسياق الحياة يطرح الكثير من الاختلافات والاتفاقات التي تتكرر، ممّا يولّد حالات نلمح فيها التمايز الحاصل، فنسارع إلى البحث عن معالجات فورية تكون هي المنقذ الثَّاني أو ربّما تكون نقطة البداية للتعرّف على مصدر الألم وعلاجه.

ولأنَّ الخوف يدفع المخاطر إلى العقل فينبّهه إلى ما يجب كي لا تقع إلاّ أنَّ هذا التنبيه هو تنبيه إرادي، فما تفعله الإرادة لأن يختار العقل أفضل البدائل، غير الذي تدفعه الإرادة إلى أسوئها، فمن يتخذ أفضلها يأخذ بأسباب النجاة ويحقّق غاية الخوف بإحلال السَّكينة محلّه.

عليه يكون هذا الإحلال باعثا للإنسان على عدّة أمور منها:

- يمكّن الإنسان من استشعار المخاطر.
- يدفعه إلى البحث عن الحلول.

– يمكِّنه من اتخاذ القرار بوعي.

– يمكِّنه من الإقدام وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء.

لذا يكون الخوف منبِّها على المخاطر قبل أن تقع ممّا يجعل العلاقة وثيقة بين ناقوس الخطر والاستشعار به خوفا وقبل وقوعه.

ولذا (فمن خاف سلم كما يقولون) أي من لا يحسب لا يسلم.

هذه المقولة التي تداولتها الألسن تطرح وجود ثوابت في الوعي الإنساني قائمة على إيجاد بُعد في النظر لما يجب أن يكون، وذلك وفقا لقراءات تحصل نتيجة الاستمراريَّة التي تسير مع الإنسانيَّة؛ فالخوف بحالته الاستدراكية يطرح تنبيهات متعدِّدة تتَّبع ما يمكن أن يحدث ضمن امتدادات إنسانية متشكِّلة على كلِّ التبعات التي يمكن أن تحدث، ولعلَّ الاستمراريَّة التي نراها، ما هي إلّا وجود ترابطية حاصلة بين جميع البشر رغم التفاوت الذي يمكن أن يكون بينهم أحيانًا، ذلك أنَّ النسق الإنساني بتنوُّعه يحتّم هذه الاستمراريَّة كي يخلق حالة من التآلف الإنساني تكون مفضية إلى وجود تتابعيّه تمنحها مديات متباينة.

إنَّ الاستمراريَّة التي نؤسّس لها، هي استمراريَّة توافقية تحاول أن تلملم كلّ ما تجده أمامها في سبيل أن تمنحه ارتباطات واضحة المعالم، وهذا يلبّي التفاعل الحاصل بين أطراف عدّة، ترى نفسها ملبِّية لكثير من النظرات التي يكون الوقوف عندها مدعاة لبناء تنبيه واع من المخاطر التي يمكن أن تحصل.

أمّا تعدّد الحلول وتحقُّقها في كثير من المواطن؛ ففيها إشارة إلى وجود استبدالات استطاعت أن تتناوب بما يناسب المخاطر التي كان يُرى لها حلّ أمثل أو الحلّ الذي لا بديل له، هذه العملية تفضي إلى وجود مرونة في الكيفيَّة التي يتمّ بها الوصول إلى الحلّ المرتقب، ممّا يمنح التفكير وقفات آنية تكون عند أعتابها البدائل المنتظرة التي يكون حضورها ملبِّيًا للتشكيل الثَّاني الذي افترقت عنده الحلول في لحظة قد تكون صفريَّة، إلّا أنّها تجاوزية استمراريَّة.

عليه يكون تعدّد الحلول باعث على وجود ارتباطات متعدِّدة ومتنوِّعة تستطيع أن تخلق منبّهات قادرة على تفادي الخطر، ومن ثمّ إزالته باتساع عملي وتنظيري يفتّت الحواجز ويخلق صيرورة مستمرّة تتناغم مع المراد؛ فتكون الأمور بعد ذلك سائرة نحو توافقية بينية تجد الحلول، ومن ثمّ تجد لكلّ خطر حلّ وفق الزَّمان والمكان ممّا يفضي إلى وجود نظرة استشرافيَّة قائمة على:

- قراءة صحيحة.
- فرز صحيح.
- ربط صحيح.
-إحالة صحيحة.

هذا التشكيل يتَّسم بديمومة باعثة على إيجاد تباينات ظاهرة، يكون من ورائها طرح البدائل المناسبة؛ فوجود البدائل يحيل إلى وجود خلخلة وقتيّة

لم تستطع أن تأخذ دور الحلّ الشمولي الذي يكون من بعده الإزاحة الكاملة للبداية المفترضة، فالإزاحة ما هي إلاّ تأصيل للحلول التي يجب أن تنتهج، لكن ليس بشكل واحد يأخذ دور الثبات الدائم، بل بأشكال مختلفة تكون ملبّية لكلِّ المغايرات التي يمكن أن تحصل، وهذا الأمر يثمّن دور القراءة الواعية التي تكون على مستوى عالٍ من الإنتاجية الفكرية التي تطرح في الوقت نفسه الحلّ حلّا.

والوعي الذي يرافق اتخاذ القرار لا بدّ أن تكون الشّموليَّة الافتراضيَّة حاصلة فيه، لأنَّ الشّموليَّة بمدياتها المختلفة تطرح التراتبيَّة المطلوبة ضمن خطوط متوالية، كلّ واحدة تفضي إلى الأخرى، لتخلق بعد ذلك تبعات تحفيزية تساهم بشكل أو بآخر في استدراج كلّ ما يخلق وعيا حقيقيا بالمخاطر التي يمكن أن تتحقّق على مستوى المتوقّع وغير المتوقّع، وهنا يكون التنبيه الحاصل مبنيا على وعي كلّي يستطيع أن يجد مكانه الافتراضي في المستقبل المفتوح دون أيِّ عائق يحيده عن أداء مهمّته المرتقبة.

ويستمرّ ظهور المنبّهات المتعدِّدة والمتنوِّعة على المخاطر وبكيفيات مختلفة، وهذا يطرح بطبيعة الحال، التفاعل الإنساني مع المستقبل وما يتحقّق منه وما لم يتحقّق؛ فيكون هذا الطرح مدعاة لتحقّق استجابات متفرِّعة تحمل معها المظانّ التي تكون دائمة متبصّرة بالماضي والحاضر والمستقبل، فيستحيل المستقبل دائمًا إلى واقع افتراضي يكون حدوثه واقعا بلا محالة، وهذا يخلق تداخلا حقيقيا بين الماضي والمستقبل نتيجة التماثل التحسُّبي الذي جمع

بينهما، فيكونان ضمن نمط واحد وتشكيل واحد؛ ولذا فما حصل وسيحصل من مخاطر على جميع المستويات، هو بعيد كلّ البعد عن الوصول إلى تسميته بالكارثة المحدقة بالنَّاس، وذلك لأنَّ منبّهات الخوف غلّفت كلّ هذه المخاطر بأحزمة متعدّدة من الآمان كانت كفيلة بإيجاد الاستيعاب الصحيح الذي يلبّي كلّ الامتدادات التي ستحصل، والتي ستكون كفيلة بخلق توازنات حقيقيَّة تستند إلى إشارات البداية التي وقف عندها الخوف، ومن ثمّ طرح منبّهاته التي يكمن فيها درء المخاطر باتساع واع يلبّي كلّ طروحات المراحل المختلفة التي يكون من بعدها الوصول إلى المبتغى المراد.

عليه يكون الخوف ومنبّهاته على المخاطر حالة من الامتدادات الإنسانيَّة في معالجة مخاطر المستقبل؛ فيسقط بذلك المجهول المفترض للمستقبل ويحلَّ بدلا عنه المعلوم الذي وصل إلى درجة المشاهدة التي يمكن تحقّقها وفق المنظور التخيلي. أمّا ما يتعلّق بالاستجابة المطلوبة، فلا بدّ أن تكون الاستجابة تتّصف بالمرونة، ذلك أنَّ كلّ الأحداث الحاصلة تطرح مغايرات كثيرة تكون في أكثرها منتمية إلى التناوب الذي يمكن أن يحصل، وهنا يكون دور الاستجابة حاضرًا ضمن امتدادات تكشف التعامل الافتراضي الذي يجب أن يحدث.

إنَّ حصول الاستجابة يدلِّل على وجود تعالقات واضحة بين جميع الأطراف، وهذا يفصح عن ديمومة يُرى فيها أنَّها لملمت كلّ ما يمكن أن يؤدِّي إلى تحقيق التنبيه المراد على المخاطر، وبذلك تكتمل العملية المطلوبة؛

فتصبح المخاطر بعد ذلك خارج دائرة الخوف التي كانت تمثّل البداية المؤسّسة للتنبيه على المخاطر.

عليه يكون الخوف ومنبّهاته رادعا مهمّا في الوقوف بوجه المخاطر التي يمكن أن تظهر، أو حتى أن تلوح في الأفق، وهنا يكون النظر الحاصل ملبِّيًا لكلّ الافتراضات التي تنشأ من أجل الوصول إلى نقطة تكون فيها الأمور خارج أيِّ خطر يمكن أن يحدث، كما أنَّ التجديد مطلوب الحدوث في كلّ الامتدادات المقترحة، لأنَّ ذلك يعزّز كلّ الأساليب التي يكون من ورائها إزالة كلّ العوائق والمشاكل التي تكون سببًا في حدوث خلل أو تباطؤ، لأنّ ذلك ينعكس بطبيعة الحال سلبا على الخطوات التي ستكون سببًا في الوصول إلى النِّهاية المفترضة والمطلوبة.

إنَّ كلّ التشكيلات التي ذهبنا إليها في هذا الجانب كانت ضمن نظرة استدراكية حالها كحال الخوف، فالتنبيه على المخاطر يمثّل سمة تنويريَّة يُراد منها إيجاد مديات واضحة المعالم، يكون الوقوف عليها باعثا لحلول تكون ملبِّية لكلّ ما يمكن أن يكون ممثلا للخطر الذي يمكن أن يحدث، كما أنَّ تعدّد المخاطر يحتاج إلى تعدّد في الرؤية المعرفية التي تكون متابعة لهذا التعدّد؛ فتحاول أن تجد الحلول المناسبة، وتمنحها أبعادا متعدّدة تستطيع في كلّ الأوقات وفي كلّ التغيرات أن تلبّي ما يسهم في درء المخاطر، وتؤسّس لحياة أفضل، يكون الأمان هو المتحقّق بأيِّ صيغة وبأيِّ شكل، وهذا لا يكون

إلّا بالتّوجه الصحيح منذ البداية الثّانية التي تبنّت هذا الأمان ومنحته اهتماما واضحا.

استنهاض الخوف صناعة مستقبل:

مع أنَّ الخوف يكمن في النَّفس الإنسانيَّة، فإنَّ هذا الكمون لا يكون مستديما، ولا يكون حالة أشبه بالمكوث الذي لا يرى بزوغه أبدا؛ ذلك أنَّ المثيرات الخارجيَّة تسعى دائمًا إلى يقظته في تشكيلات متعدّدة ومتنوّعة، فيكون ظهور الخوف ضمن حالة متفاوتة بحسب المثير الذي يستفّزه، هذا الأمر يكون تحقّقه ضمن آنيّة مفترضة يكون حصولها بعد امتدادات واضحة المعالم، يُرى فيها كلّ التمركزات المطلوبة، والتي يكون من بعدها التوجّه العلاجي قائم من خلال مثول الخوف وراء كلّ ما يحصل.

إنَّ هذا الانفتاح في المعالجة قائم على آنيّة تكون محدّدة الحدود واضحة التفاصيل، ومن الممكن الوقوف على كلِّ ما من شأنه أن يكون الحلّ فيه ظاهرا سواء أكان مادّيّا أم معنويا؛ فتكون المعالجة سريعة، لكنّها لا تخلو من أخطاء متفاوتة قد تكون قليلة في بعض الأحيان، إلّا أنَّها قد تتّسع في أحيانًا أخرى لتصل الأمور في بعضها إلى وجود خروقات غير منطقية، تجعل الكثير من الحلول في المستقبل في مهبّ الريح، هذه الآنيّة ساهمت بشكل أو بآخر في استنهاض الخوف من خلال رسم حجم المخاطر وتبيان ما فيها من تفصيلات تعينه على إيجاد حلول يكون من خلالها الوصول إلى نقاط التقاء فعلية تكسب الزَّمن أولا، وتخرج الوضع الحرج أو الخطر إلى وضع آخر أفضل

ثانيا، إلّا أنَّ الوضع الأفضل يكون وفق مقاييس غير ثابتة، إذ تكون هذه المقاييس تابعة إلى مجمل العوامل التي التفّت حول الخوف، ومنحته هذا الاستنهاض الذي كان سببًا فاعلا في الوصول إلى النتيجة الحالية التي هي في كلّ الأحوال منقادة للبداية الثَّانية التي كانت قاعدة الانطلاق.

والخوف يسير باتجاهات واضحة المعالم حين يكون الاستنهاض مبنيًا على أسس علميَّة، تتّسع مراحلها نحو إيجاد توافقات بين الحدود المفتوحة التي لا يُرى فيها في كثير من الأحيان إلاّ ابتعادا عن المركز المفترض، هذا المركز يكون من خلاله طرح ما يمكن طرحه وإعداد ما يمكن إعداده، ولهذا لا تكون البداية مفتعلة بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الافتعال لا يولِّد في المستقبل إلّا أخطاء جسيمة، ونحن إذ نرى في البداية أنّها يجب أن تكون مبنية على اتساعات علميَّة مختلفة تلملم المطروح وتدخله في سياقات حقيقيَّة وافتراضيَّة، فتمنحه بذلك مديات متباينة يكون على أساسها الوصول إلى الاتكاءات التي يكون من ورائها الوقوف على الحلّ، والذي يكون من ورائه تفادي المخاطر التي يمكن أن تحدق بالإنسان.

إنَّ السير خلف طروحات ثابتة يجعل من استنهاض الخوف أداة ناقصة الفاعليَّة؛ ذلك أن التغيُّر المستمر في الحياة يخلق حالة من التصحيح المستمر لكلِّ ثوابت الحياة، وهذا بطبيعة الحلّ يوجد ارتماءات متعدِّدة تحاول أن تجد لها ما يكفل بقاءها ضمن دائرة الاستنهاض؛ فتكون الأمور ضمن هذه النسقية باطلة وغير قابلة لردع المخاطر؛ فتقلبات الحياة جعلت الكثير من

الأمور تكون ضمن انزواءات لم يتوقّع لها أن تكون فيها؛ فكانت وجودا غير مرغوب فيه في كثير من المواقف، وهنا تنبري الأمور ضمن استمدادية جديدة؛ فتحاول أن تجد ما يمنحها صيرورة البقاء ضمن دوائر جديدة تسهم من خلالها في إيجاد حلول واضحة، وإن كانت استعراضية، إلّا أنَّها ملبِّية لبعض الارهاصات الحاصلة التي تبدو غير خطرة.

وتتحدّد الحياة من خلال تقسيم يطرح كلّ ما من شأنه أن يكون سببًا في استنهاض الخوف، ذلك أنَّ المخاطر أصبحت ضمن مدارك الإنسان المختلفة؛ فيلتفَّ حولها استشعارات متباينة تكون حافلة بأسباب البحث عن كلِّ النقاط التي يكون من ورائها الوقوف على الصورة الافتراضيَّة التي ستكون في المستقبل، وهذا يشمل ما يسمى بصناعة المستقبل؛ فالمستقبل في حقيقته غير متحقّق، إلّا أنّه يمكن أن يتحقّق من خلال رسمه بتقنية خاضعة لكلِّ ما يساهم في تحقّقه، وفي هذا المقام يتراءى لنا مصطلح المستحيل الذي يمكن أن يكون باعثا لتوقفات كبيرة يكون من بعدها تحقّق المخاطر، ومن ثمَّ الانزواء عن إيجاد حلول تكون ناجعة في كلّ المقاييس، ولكي نبدِّد هذا المصطلح ولو آنيّا علينا أن نلجأ إلى المتوقّع وغير المتوقّع كي نسلب منهما الحلول التي يمكن أن تكون باعثة على إيجاد أرضية صلبة وواضحة المعالم، ويكون من ورائها خلق استنهاض للخوف يكون من ورائه صناعة المستقبل بالكيفيَّة المفترضة والمرادة.

المتوقّع يسير في دائرة المتحقّق الذي يكون وجوده وصداه حاضرًا في المنظور وغيره، وهذا بطبيعته يخلق حالة واضحة من وجود ثوابت يكون حضورها ممثلا لجانب مهم من جوانب صناعة المستقبل؛ فيكون هذا الحضور استمرارا لهذه الصناعة حتى يمكن القول أنَّها تدخل حقل البديهيات التي يكون وجودها لا بديل عنه.

أمَّا غير المتوقّع؛ فيكون خاضعا لنظرة استشرافيه باحثة عن كلّ ما من شأنه أن يكون مؤسّسا بطريقة أو بأخرى لصناعة مستقبل مطلوب وفي المواصفات الافتراضيَّة التي وضعت عند بداية الاستنهاض، ولعلَّ البداية قد تكون مفتعلة في بعض جوانبها نتيجة التحسُّب المبالغ فيه إلّا أنَّه بمرور الزَّمن قد يكون هذا الافتعال ممثلا لكثير من الوقائع التي يمكن أن يكون لها شأنٌ آخر، فلا يكون هناك استبعاد لأيِّ استنهاض وإن كان بعيدا عن السمات المتواجدة ضمن الدائرة الظنيّة الحاضرة في كلِّ حركة متّجهة نحو الاستنهاض.

عليه يكون استنهاض الخوف باعثا لإيجاد قواعد جديدة تكون ملبِّية لما يمكن أن يكون بديلا عن الماضي، ودون الركون إلى كلِّ ما من شأنه أن يلغي التوجّه نحو المستقبل بافتراضات بالية وعقيمة لم تنتج إلّا ما يُعطّل الحياة ويجعلها تمرّ بأزمات متوالية.

إنَّ الحياة في كثير من تفاصيلها هي مبنيّة على استنهاض الخوف لصناعة مستقبل يكمن فيه الأمان المطلوب في كلِّ جوانبه؛ فمن ذلك نجد أنَّ المقررات التعليمية إن لم تكن مصاغة بمنهجية استنهاض الخوف لدى

المعلمين والمتعلمين؛ فإنَّها ستفشل في تحقيق الغايات المرجوة لصناعة المستقبل، فإعداد كمّ من المعلومات الملبِّية لاستنهاض الخوف، يكون موافقا لما يمكن أن يكون منجزا مستقبليًّا، فالمقررات إنْ لم يراع في صياغتها استنهاض الخوف في أنفس المتعلمين لا يمكن لهؤلاء المتعلمين صناعة المستقبل المأمول منهم، حتى يكونوا من المواكبين لحركات التغيّر والتقدّم التي هي دائمًا في حالة تطوّر من عصر إلى عصر.

ولذا فإنَّ الخوف من أعظم النعم التي تحفِّز الإنسان وتدفعه إلى كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه المخاطر والآلام والمظالم، ويجنّبه الحاجة والعوز، ويُمكِّنه من بلوغ مشبعاتها والإقدام على تطورها وتطويرها، حتى المناهج التي رأينا فيها أن تكون ملبِّية لاستنهاض الخوف، هي متغيِّرة ومتبدِّلة، لأنَّ الخوف أيضًا متغيّر ومتبدّل، وهنا يكون النَّاس ضمن اتجاهين:

الاتجاه الثَّاني: يكون منهم متتبِّعا لكلّ ما يسهم في استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل؛ فتكون حركتهم واعية وتسير في مدارات تلبّي ما يطمحون في الوصول إليه؛ فتكون أدواتهم خاضعة لكلّ ما يصل بهم إلى التحقُّق المراد، حتى ردود أفعالهم تكون منتمية إلى أرضية واقعية التشكيل، فتمنحهم بعد ذلك حلولا صحيحة كما يريدونها في كثير من الأحيان.

الاتجاه الثَّاني: المتفرجون الذي يراقبون كلّ ما يجري، فلا يحركون ساكنا وسيظلون يتفرجون ما لم يعرفوا عن يقين أنّ استنهاض الخوف ضرورة للفرد والجماعة والمجتمع، هذه المعرفة لا تأتي من فراغ، بل يكون السعي من أجل

معرفتها هو مطلب مهم يمنحهم فيما بعد هذا المطلب نتائج غير متوقعة على كافة الأصعدة التي كان ينظر إليها أنَّها غير مهمة.

إذن: من يستنهض الخوف في نفسه يتقدّم ويتطوّر حتى يصل به الأمر إلى أن يغزو الفضاء وهو يصنع المستقبل، وفي المستقبل أيضًا سيغزو ما لم نعرفه الآن في دائرة غير المتوقّع، ولهذا من يعلم بذلك لن يُفاجأ، أمَّا الذين لا يعلمون فبالضرورة ستكون المفاجأة في أنفسهم عظيمة ويا ليتها تكون موجودة.

ويمكن التوقُّف عند مرتكزات مهمة في الحياة يكون استنهاض الخوف فيها السبيل إلى صناعة المستقبل المطلوب منها:

1 – **الإعلام**:

يمثل الإعلام عصب الحياة الآن في توصيل المعلومة وبمختلف الوسائل، فالفضائيات والانترنيت والجرائد والمجلات والاتصالات بأنواعها، تخلق حالة من الصيرورة المطلوبة في توجيه النَّاس نحو أفكار مختلفة يكون الالتقاء عندها هاجسًا من هواجس البحث المطلوب؛ فالنَّاس مشدودون إلى هذا الإعلام بكيفيات مختلفة؛ فعند توظيفه بالطَّريقة التي يتمّ فيها استنهاض الخوف، يكون التفاعل متحقِّقا وملبِّيًا لما يمكن أن يكون مساهما في صناعة المستقبل.

إنَّ الحياة تسير نحو الأمام بطرق مختلفة؛ فتكون الارتباطات المختلفة مدعاة لبناء ركائز يكون من ورائها تحقيق الكثير من التوجهات التي تكون

أكثرها قائمة على اختزالية واضحة، فالإعلام في هذه المواقف يستنهض النَّاس نحو المتحقِّق وما سيتحقّق؛ فيكون الترابط الحاصل منتميا لكلّ ما يكون باعثا لامتدادات تكون موافقة للبداية التي يتمثّل فيها الانطلاق الثَّاني، والإعلام يسمح بوجود فسحات كبيرة يكون من خلالها الوصول إلى المبتغى المراد، حتى أنَّ النَّاس جميعًا يختلفون في استقبال المعلومة، ممّا يسمح بوجود تفاوت، لذا تكون المعلومة محصورة بين أمرين:

الأمر الأوَّل:

مصدر المعلومة الذي تكون عنده نقطة البداية، إذ يعرض معلومته بطريقة تنمّ عن وجود امتدادات مستقبليَّة مرتبطة بالمعلومة، فكل الوجود الخارجي القابل لاستلام المعلومة هو يرتبط بها بطريقة أو بأخرى، ممّا يحمّل نقطة البداية تبعات الصحة التي يجب أن تكون، لأنَّ ما سيحصل في المستقبل بكلّ ثوابته ومتغيّراته وتداعياته مرتبط بالبداية التي يُنظر لها دائمًا أنَّها الأساس الذي لا بديل عنه.

الأمر الثَّاني:

مستقبل المعلومة المرتبط باستنهاض الخوف لا بدَّ أن يمتلك نوعًا من التكيّف مع هذه المعلومة، وهذا الأمر لا يكون وفق امتداد واضح عند كلِّ النَّاس، بل يكون التفاوت حاضرًا ممّا يطرح وجود نهايات متفاوتة أيضًا؛ فالمستقبل المطلوب قد لا يبدو متحقِّقا حين يكون التفاوت حاصلًا.

والإعلام يمكن أن يكون له دور فاعل حين يضع المستقبل أمام النَّاس جميعًا بالطَّريقة الافتراضيَّة التي تجعل منه واقعا أمام العين، وذلك من خلال إيجاد تشكيلات شاخصة تطرح المستقبل كأنّه حقيقة ماثلة، وهذا الأمر نراه في كثير من الأحيان حين نشاهد نماذج من المشاريع الضخمة أو المجمعات السكنية أو التجمعات السياحية قبل أن يتمّ تنفيذها، فمجرد أن نرى شكلها الافتراضي على طاولة العرض، نستشعر أنّ الخوف كان حاضرًا منذ البداية من أجل أن يكون هناك حلا لمشكلة السكن أو لمشكلة العاطلين عن العمل.

2 – المراكز الدِّينيَّة:

تتمثل المراكز الدِّينيَّة بمنابر المساجد والكنائس التي يكون الالتفاف حولها طواعية، فيكون استنهاض الخوف ذو فاعلية واضحة؛ فحضور النَّاس بهذه الطواعية يساهم بشكل أو بآخر في صناعة المستقبل، لأنَّ استنهاض الخوف الذي يصدر من هذه الأماكن الدِّينيَّة، يكون استقباله غير قابل للمعارضة الذَّاتيَّة أو حتى للمعارضة الظنيّة؛ فيحصل بذلك استنهاض الخوف المطلوب الذي يفضي إلى صناعة المستقبل المراد.

والمنبر الديني يمثّل في جميع البلدان مركزيّة واضحة يلتفّ حولها النَّاس، فصوته لا يُعلى عليه وإن تكاثرت المراكز التي تظنّ أنَّها تمثّل صوتا مسموعا؛ فيكون الطرح الديني منتميا إلى تفريعات عدّة أهمها:

الجانب الدّنيوي:

يمثّل الجانب الديني حالة مهمة لأنّه ينظّم حياة النَّاس ويمنحهم ترابطات متنوّعة تكون سببًا في كثير من التنظيمات التي تمنحهم أبعادا واضحة في الحياة، والنَّاس يتوسّلون بالجانب الديني من أجل أن يكون حصنهم المنيع في هذه الدُّنيا، ذلك أنَّ الحقوق والواجبات والمسؤوليات لا تصل إلى درجة التحقيق إلّا من خلال الدين، لأنَّ بقاء الأمور وفق اجتهادات وآراء خاصة تثير الفوضى ويخلط الحابل بالنابل، وتسير الأمور في متاهات لا يُعرف لها بداية أو نهاية.

هذا الجانب تكمن فيه الحلول الدنيوية، لكن هذه الحلول هي غير منقطعة عن الآخرة؛ فهي تمثّل امتدادا لها، ولهذا سنجد في الجانب الآخر في المرحلة الثَّانية التي لا تنفكّ عن الجانب الدنيوي ما يوازي هذه الحلول بدافع الخوف من الآخرة.

الجانب الأخروي:

يمثّل الجانب الأخروي امتدادا للجانب الدّنيوي، لأنّ كلّ الأوامر والنواهي التي كانت مفروضة في الدُّنيا، كانت تتضمّن ما تكون عليه النِّهاية حين يكون الخروج عنها حاصلًا؛ فالدّعوة إلى الصدق مثلًا، لا ترتبط بالدُّنيا فقط، بل إنَّ نتائجها تكون في الدُّنيا والآخرة؛ ففي الدُّنيا يكون الصدق معيارا لتوجيه النَّاس نحو ما يحقّق لهم السَّلامة والآمان، ويكفل لهم البقاء عند الحدود الصحيحة التي يكون من ورائها النجاة، أمّا الكذب والافتراء؛

فلا يكون مصيره إلّا الخذلان في الدُّنيا والآخرة؛ فيكون استنهاض هذه المعايير مثلا باعثا إلى إيجاد حالة من التصحيح تكون نتائجها في الدُّنيا والآخرة، هذه الاستمراريَّة الحاصلة في استنهاض الخوف من قِبل هذه المنابر لا تنقطع أبدا حتى تصل الحياة الدُّنيا إلى نهايتها، وذلك لأنّ النَّاس أخطاؤهم لا تنقطع؛ فيكون الارتباط حاصلًا ضمن هذه التناوبية المستمرة.

إنَّ استنهاض الخوف هنا قائم على إيجاد مستقبل قائم على الأوامر والنواهي فمن خلالهما يتحدّد المستقبل المطلوب؛ فتكون صناعة المستقبل قائمة على هذا الاستنهاض المستمر الذي يكون من خلاله وجود رؤية واضحة المعالم، قد يكون الخروج عنها حاصلًا، إلّا أنَّه في البداية لا بدَّ أن تكون الرؤية خاضعة للتصحيح المطلوب الذي يكون مطلوبا كي يحقِّق صناعة المستقبل.

لذا نجد أنَّ التفاف النَّاس حول المراكز الدِّينيَّة فيه رؤية مستقبليَّة يرونها دائمًا في عقولهم وعواطفهم، فيلتفّون حولها من أجل إظهار التعلُّق الذي يمنحهم ترابطا قويا، يمثّل لهم دفعة تجديدية في مواصلة مشوارهم في هذه الحياة؛ فالنَّاس يبحثون عن أسس تضفي عليهم امتدادًا جديدًا يسمح لهم بتملّك أمل جديد يكون من ورائه استمراريَّة تدفّقية تصل بهم إلى نهاية معاكسة لأفعالهم الخارجة عن كلّ الدوائر الإيمانية، والتقاطع في هذه المراحل غير وارد، كونه يشير إلى توقّف غير مرغوب فيه أو غير مطلوب حقيقة، لأنّ التوقّف يجعل من هذه المراحل آنيّة وهذا مخالف للبداية المرادة وحتى للنهاية،

لأنّ كلّ الأسس في البداية مبنيّة على وجود مغايرات متحقّقة، وتحقّق هذه المغايرات يحتّم على هذه المنابر البحث المستمر عن استنهاض واعٍ يمتلك كلّ الأدوات التي يكون من شأنها أن تصنع المستقبل المطلوب، ولهذا نحن نجد أنَّ هذه المنابر بتنوّعِها لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن الساحة الإنسانيَّة في كلِّ تفاصيلها.

وصناعة المستقبل تمثّل حالة تتويجية لاستنهاض الخوف، هذه الصناعة تستند إلى مجموعة من الافتراضات التي تساهم بشكل أو بآخر في وجودها، لكن هذه الافتراضات ليست بمجملها منتمية إلى فضاءات غير حقيقيَّة، بل إنَّ الكثير منها ينتمي إلى الواقع المعاش الذي يكوّن لها أحد السُّبل في صناعة المستقبل، ولعلّ التكرار الحاصل في النسق الإنساني يشير إلى هذه السُّبل التي تكون كفيلة في إيجاد ما يحقّق الصناعة المطلوبة؛ فالتكرار الحاصل يشير إلى أنَّ الحياة فيها من المتماثل ما يستمر وبدون إزاحات داخلية أو خارجيَّة، ومنها ما يظهر فيكون باعثا إلى إيجاد ما يمنحه مكانة في هذا العالم الكبير.

إنَّ استمراريَّة استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل تمرّ بتعاقبات متباينة؛ فتثير ما يمكن إثارته في سبيل خلق ديمومة لهذا الاستنهاض، ذلك أنَّ الاستمراريَّة التي نقصدها، هي استمراريَّة تتابعيه، لا تنفكّ أبدا عن المتابعة بكلِّ أشكالها، وذلك في سبيل أنْ لا تصل نقطة الافتراق بعد ذلك إلى طريق مسدود، وهنا يكون الامتداد مطلوبا، لأنّ السعة المعرفية تحتاج إلى أمكنة مختلفة يكون فيها الظهور أحد الأسس المطلوبة.

إنَّ استنهاض الخوف يمثّل رسالة واضحة المعالم للنَّاس جميعًا؛ ذلك أنَّ حصول استنهاض الخوف يجعل إحساس النَّاس بالمخاطر عاليا، وهنا لفظة (عاليا) توحي بتدفّق الكثير من الصِّفات التي يكون من ورائها حصول الاستنهاض، فمن خلال ذلك يكون التحسُّب والحيطة والحذر وغير ذلك من الألفاظ التي تشير صراحة إلى تحقّق استنهاض الخوف.

يطرح هذا التعدّد الصِّفاتي وجود استقبال حقيقي من النَّاس لهذا الاستنهاض، حتى أنَّ وسائل الاستنهاض المختلفة ظهرت وتظهر فعالياتها في هذا التحقّق، ممّا يعني وجود ارتباط حاصل بين هذه الامتدادات الاستنهاضيَّة؛ فيتشكّل بعد ذلك مستقبل قائم على صناعة موافقة للاستنهاض الذي قام به الخوف، فتكتمل الدائرة ضمن هذه التتابعية، ممّا يجعل الحضور الكلي موافقا للعملية الاستنهاضيَّة كونها ملتّفة حول هدف واحد تسعى جميع الأطراف إلى تحقُّقه.

ومع أنَّ الحياة تتشكّل من مجموعة من التناقضات التي يكون حضورها حاصلًا، لكن ليس بكيفيَّة طوعية من تلك الشّدائد التي يتعرّض لها الإنسان، ما يجعل حصولها خارج الإرادة البشريَّة، وهنا تتعاظم الأمور وتصل في كثير من الأحيان إلى درجة الهلاك التي تكون من بعدها الأمور في غياهب لم تكن بالحسبان؛ فيكون دور الاستنهاض حاضرًا في مجابهة هذه الشدائد، والنَّظرة إلى الشدائد ليس من باب كونها حاصلة في هذه الآنيّة، بل من باب أنَّ امتداداتها وتبعيتها المختلفة، ستكون في المستقبل حاضرة أيضًا، ولهذا

يكون استنهاض الخوف ملبّيًا في كثير من الأحيان لهذه المعالجة المطلوبة كون وقوعها يشير إلى نهايات غير مطلوبة أبدا، فيكون استنهاض الخوف هو البداية المطلوبة التي يكون من بعدها إحداث صناعة للمستقبل، فتمكّن هذه الصناعة من إيجاد حلول وبدائل لتلك الحلول، وهنا تكون الأمور في غاية الصعوبة، لأنَّ وجود البدائل يعني أنَّ الحلول الموجودة والمقترحة غير كافية، وهذا يطرح وجود مفاجأة لم تكن بالحسبان.

إنّ الشدائد التي يتعرَّض لها الإنسان تخرج في كثير من الأحيان عن طاقته الاستيعابية التي تكون من خلالها مواجهة ما يحصل، وهنا يكون الاستنهاض مبنيا على هذه الاستيعابية، فيؤسّس من خلالها لكلِّ المراحل المستقبليَّة التي يكون الحلّ بها، ولعل البدايات الثَّانية لهذا الاستنهاض تكون غير موفّقة، إذ يكتنفها تعثُّر واضح نتيجة حصول فهم خاطئ أو إدراك غير واعٍ، فتكون النتيجة موافقة لهذه البداية.

عليه يجب أن تكون البداية متماشية مع المستقبل المراد في حركة أشبه ما تكون بالتحفيزية التي تفتح الطَّريق أمام كلّ الحلول الناجعة، فالتبعثر غير مطلوب، لأنّه يؤسّس لحلحلة غير موفّقة، فتكون النتائج المتوخاة ضعيفة؛ فتُسلب كلّ الحلول وحتى البدائل التي تظهر ممّا يطرح وجود خرق وراء كلّ ما يحصل.

وعليه: تمثّل صناعة المستقبل هاجسًا للإنسان الواعي، فرؤيته للمستقبل تكون وفق دراسة علميَّة قائمة على استنتاجات وافتراضات تقوده نحو

البحث عن هذا المستقبل، إلّا أنّ الدافع الرئيس لهذا الهاجس المستمر هو وجود خوف دائم من كلّ ما يحيط به، وبخاصة من المنافسين له في المجالات التي تُعدّ من مرتكزات الحياة المهمة، هذه المرتكزات بامتلاكها يستطيع الإنسان أن يكون من الذي يمتلكون زمام قيادة هذا العالم، فالدول المتقدّمة لديهم من المرتكزات ما تَحقّق قبل وقته نتيجة التفكير المسبق به وحتى تحقيقه، أمّا تفكيرهم في اليوم نفسه؛ فهو منصبّ على المستقبل وما يجب أن يكون وفق رؤيتهم إليه، وهذا الأمر يدعونا إلى إعادة النظر من أجل البحث ومواصلة الوقوف في أماكن جديدة، نكون فيها عند مرحلة جديدة، نستطيع من خلالها المواصلة والدّيمومة وإن كان الحضور في كثير من الأحيان بعيدا عن الطموحات المرجوة.

إنَّ استنهاض الخوف يسهم في جعل صناعة المستقبل متوافقة مع الماضي، لأنَّ الماضي هو المؤسس للمستقبل، والمستقبل هو الحلّ لكلّ منغصات الماضي، لذا نجد أنَّ هذه العملية مرتبطة بعضها مع بعض في حالة مستمرّة، ممّا يطرح وجود ارتباط لا بدّ من أن يكون دائمًا بالحسبان، لأنَّ التشكيل العام للحياة ينذر دائمًا بوجود هذا الارتباط، ممّا يكفل بوجود نهاية ملبِّية للبداية التي كانت سببًا في صناعتها.

الخوف واقٍ من الألم:

ليس هناك أحد إلاّ وللألم فيه نصيب على التنوّع والتفاوت في هذا الألم، سواء أكان هذا الألم حسّيًّا أم شعوريًّا أم إدراكيا، بمعنى جميع أنواع الألم

التي لها علاقة بالجسد أو النَّفس أو العقل، غير أنّ أحدا لا يستطيع أن يحدّد معرفة مركز الألم أو أين يمكن أن يكون؟

الإنسان يتألّم حسّيًّا في منطقة من الجلد أو في أيِّ منطقة ما من الجسد، ويتألم نفسيًّا دون وجع عضوي، فمن أين يأتي هذا الألم؟

ويتألّم ذهنيًّا إمّا بضعف الذَّاكرة وعدم التذكُّر، وإمّا لعدم الإدراك أو عدم الاستيعاب على التفاوت النسبي بما يُحدث له ألما نسميه عقليًّا، فهذه الآلام المتنوّعة، نحسّ بعضا منها إحساسًا عضويًّا مادّيًّا لما لها علاقة بالجسد، وبعضا منها نشعر به شعورا داخليًا لا نستطيع أن نعبّر عنه إلاّ بالألم النَّفسي، والبعض الآخر ما يؤلم في العقل حقيقة على أنّه إدراك للألم بسبب نقص في العقل باتجاه معين، ولكن أين يوجد مركز الألم؟

هل هو في الدماغ؟

هل هو في الجملة العصبيّة؟

أم أنّه في جهة عصبيّة؟

أم أنّه في النَّفس التي لا نعلم مركزها؟

إلى الآن لم يتوصّل العلم مع تقدم التجارب العلميَّة والمختبريّة وما جرى من أبحاث في هذا المجال إلى تحديد مركز الألم أو معرفة مكانه من هذا الجسم الإنساني، وهل هناك مركز للألم أم لا؟

والألم من حيث المركز والمكان الذي يكمن فيه يتساوى مع الخوف وإن علمنا مكان التألّم وعلمنا ممّاذا نخاف.

الشيء المعروف عن الألم أنَّ الإنسان يتألّم، وأنّه يمكننا التعرّف على التألّم من خلال صداع يصيب الإنسان، أو كسر في أحد أطرافه، أو جرح في أحد أعضائه، أو وخز إبرة في موضع من جلده، وكلّ ما ذُكر هو من المؤلمات، أمّا الألم لا يمكن معرفته بشكل مباشر، وكذلك لا يمكن قياسه بشكل كمّي أو نسبي لا بالحجم ولا بالشكل ولا بالوحدات القياسية، غير أنّ الخوف المنبّه على الألم حال حدوثه أو قبل وقوعه يعطي صاحبه نسبة على قدر تحمّله هو، ولذا فكلّ إنسان ألمه على قدر طاقته وخوفه مثل ذلك.

ومن هنا يتعاقب الخوف والألم؛ ولذلك لا نقول: إنَّ الحياة لا تخلو من المخاوف، وإنّما هي مليئة بها، وهذه المخاوف التي تحمل المخاطر وما يمكن أن يصيب الإنسان من الشرور، تسبِّب آلاما كثيرة، متنوّعة من حيث الحجم، ومتعدّدة من حيث الكم، ومختلفة من حيث الإدراك إمّا حسّيًّا وإمّا شعوريًّا؛ فما كان منه حسّيًّا يقع على الجسد، وما كان منه شعوريًّا يقع على النَّفس، وما كان منه ذهنيًّا يقع على العقل الذي يحمل الأفكار؛ فتتألّم الذَّاكرة إمّا بالنسيان، وإمّا بعدم الاستيعاب، وإمّا بقلّة الإدراك، فقد يصيب الإنسان ألم حسي، أو ألم معنوي شعوري، وقد يجتمع الألم الحسي والشعوري المعنوي في أحيانٍ كثيرة لدى الفرد الواحد ممّا يترتّب عليه ألم مضاعف ومتنوّع، ومن نعمة الله تعالى على الإنسان، أنّ الألم نفسه عندما يداهم أحدا

يحمل معه علاج التخلّص منه وإجراءات وقائية لآلام هي أعظم من الألم القائم، ويتمثّل العلاج والإجراء الوقائي بما يحمل الألم من خوف، أو بعبارة أدقّ أنّه يستنهض الخوف دفعا للألم الأعظم، لأنّ الخوف الذي ينبّه العقل على مخاطر الألم، يكون قد وضع أولى الحواجز وأقواها في التصدّي للألم إن كان موجودا، أو منع حصوله عندما يستشعر الخوف حضوره، وعلى هذا لا يكون الخوف واقٍ من الألم فحسب، وإنّما يحمل علاجا للألم القائم أيضًا؛ ذلك أنّ دافع الخوف يتعاظم بوجود الألم، وهذا التعاظم يكون أكثر تأثيرا على العقل حال وجود الألم، أكثر من حال استشعاره، ومن هنا تكون حسابات العقل منصبّة على التخلّص من الألم القائم من خلال تجارب وطرق وأساليب بما يحتفظ به من أفكار في الذَّاكرة لتجربة مشابهة كان قد مرّ بها أو تجارب متعدّدة، يسعى إلى التخلّص من الألم بما يوعز إلى الإرادة من اتخاذ إجراءات تناسب الحالة القائمة على مقتضى الوجوب، بينما يكون التعامل في الألم الذي ينبّه الخوف على وقوعه، بطرق وأساليب وبدائل تختلف عن التعامل مع الألم القائم، ذلك أنّ الألم الحاصل الذي نبّه عليه الخوف تكون إجراءاته علاجية، بينما تنبيه الخوف على ألم يمكن أن يحصل، تكون إجراءات العقل معه وقائية.

وبهذا يخاطب الخوف الجانب الشعوري من هذه المشكلة في الشعور بالألم، لأنّه يدفع العقل إلى استنتاج السُّبل العلاجية للألم القائم، والوقائيَّة

للألم المتوقّع، وفي كلتا الحالتين يكتسب الإنسان عن طريق الخوف نوعا من الاستقرار في التعامل مع الألم القائم، وطرفا من الطمأنينة للألم المتوقّع.

إنَّ الخوف الذي هو واقٍ من الألم لا بدّ أنّه سابق عليه؛ ولذا يكون هناك إجراءات احترازية يتخذها العقل بدافع الخوف بإصدار تعليمات إلى الإرادة تكون مصدّات في وجه الألم لمنع وقوعه، والخوف الذي هو مسبوق من الألم؛ فإنّ الخوف هو علاج لهذا الألم بسبب عِظَم الخوف من العلّة القائمة، ومن هنا تكون توجّهات العقل توجّهات علاجية، لأنّه يستطيع أن يسيطر على الألم الواقع ضمن حيّزه بما يمتلك من معطيات داخلية يستطيع من خلالها التأثير بشكل مباشر بنوعية الأوامر والإيعازات الصادرة عنه للإرادة في حسن التعامل مع الواقع الداخلي، وإن كان شطرًا الألم القائم في الذَّات من جهة والممكن المتوقّع من جهة أخرى، وكلاهما ينبّه عليهما الخوف والمتعامل معهما العقل والمتصرّف معهما الإرادة، والشطران يسببّان أذى وشرا حاليا ومستقبلا؛ فاختلف بينهما الزَّمان وتوحّدت الأدوات في التعامل معهما؛ فكان اختلاف الزَّمان مدعاة لاختلاف السُّبل والوسائل في مقاومتهما؛ ولذا كان أحدهما علاجي والآخر وقائي، وإن كان الخوف والعقل والإرادة هم المتعاملون معهما.

استطلاع الخوف تذكُّرًا:

التذكُّرُ مراجعة عقليَّة تفحصيَّة تطوي الزَّمن الماضي بغاية الاسترجاع وعيا بتلك الأحداث، أو الظّروف، أو المواقف، أو ذلك التَّاريخ الذي تمت

معايشته والدِّراية به لتستحضره معلومة من بعد معلومة. وفي هذا الشأن تختلف مقدرة العقول من شخصٍ إلى آخر مما يجعل البعض يُذكّر البعض بما نسيه؛ كونه أحد شهوده.

ولهذا فالتذكُّرَ وعيًا ودرايةً يتطلَّب مقدرة عقليَّة للاستدعاء من ذلك الوعاء أو المحفظة (الذَّاكرة) التي هي دائمًا في حاجة للتفطين؛ كونها محفظة المعلومات والمعارف والمخزن الحصين الذي لا تكون مفاتيحه بيد الغير، إنّها مكمن الأسرار والصندوق الأسود للعقل البشري، الذي منه تستدعى المعلومة تذكُّرا وفقا للطلب أو الأمر المرغوب إرادة، وهنا تكون المعلومة صادقة، أمَّا إذا كان استدعاء المعلومة نتاج أفعال الكره والإجبار؛ فلا شكّ أنّها ستكون للضرورة ملبِّية للأمر، ولكنَّ الشكوك والظنون تملأها.

ولأنَّ الذَّاكرة مكمن الأسرار ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانيَّة، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيدٍ من الانتباه والدِّراية من خلال عمليَّات التذكّر والتدبّر والتفكّر؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليَّات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذَّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته تذكُّرا حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد نهضة وارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تذكُّرا وتفكيرًا في نفسه، حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التذكّر والتفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة؛ ولهذا فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يتذكّرون أو يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

ولهذا فتفطين الذَّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميَّتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقلة والرّفعة بغاية بلوغ المأمول ونيله؛ ولذا فتفطين الذَّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي به تستدعى المعلومات من المحفظة تذكُّرا، والذي به يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن هنا ينبغي الارتقاء فكرا وعلما ومعرفة وخُلقا، وأسلوبا، وإلّا سيجد البعض أنفسهم جالسين في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة، وهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدّونهم للخلف ممّا يجعل

الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، وبين الحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أمل وارتقاء.

ومع أنَّ الذَّاكرة حافظة، فإنَّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرا من خلال حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمدُّها بالحيويّة المحفِّزة على بلوغ الأمل.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيّا حيث لا إمكانيَّة للعيش منفردًا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويفطّنه ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه به علاقات، ومع أنَّ هذه قاعدة اجتماعيَّة أخلاقيَّة فإنَّه كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة، وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل؛ إذ لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقا؛ مصداقا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتا}[26]، وبالتَّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير: {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}[27]؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حُجَّةً؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافا.

---

[26] نوح 17.

[27] البقرة 33.

أمَّا على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانيَّة متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النَّظرة إلى الماضي وتذكّر ما يحتويه من تاريخ وعبر ومواعظ من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيّا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيَّام. وقد يكون الخوف حاضرًا فيها؛ لكونه يمثّل الانطلاقة الثَّانية التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوَّة؛ فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر؛ كي تكون النِّهاية ملبِّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفليَّة ومؤدّيا إلى ارتقاء مأمول.

فالذَّاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفا على إرثٍ إنساني يمثل حقبة مِن حقب الماضي؛ فالتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛

فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجة ملحة تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبِّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السَّبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذَّكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدَّائم متحقِّقا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذَّاكرة وعى ويقظة.

ومع أنَّ في الذَّاكرة يدخل الماضي حقل التراث، فإنَّه لم يكن من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والايضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح في الذَّاكرة وجود آراء مختلفة؛ تجرُّ إلى

منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرا حتى في القضية الواحدة، إذ تحكمه الكثير من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عن حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النِّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذَّاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلّا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعيَّة في الحلول؛ فالذَّاكرة تحمَل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعيَّة التي يمكن أن تطرح على أيٍّ صعيد، فلم يكن هناك حلا واحدا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التماثل.

وفي الذَّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطَّاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذَّاكرة من خلال تمرينها تدبّرًا، وتنشيطها تذكّرًا وتفكّرًا.

ومع أنَّ للذَّاكرة علاقة بالتَّاريخ من حيث أنّها محفظةُ أحداثه وقضاياه، ولكن التَّاريخ دائمًا يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد

تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزَّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السَّير في هذا الرّواق منكفيا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة كونها تمثّل امتدادا مطلوبا، والتَّاريخ فيه من السّعة ما يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة (التَّاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنَّها كما نعتقد أنّها لا تمثّل تشكيلا عاما في هذا النسق الإنساني؛ ولذا وجب تفطين الذَّاكرة؛ لكي لا يضيع التَّاريخ ولا يزوّر، ومع أنَّ الذَّاكرة حاوية التَّاريخ وحافظته، فإنّها لم تكن جزء منه، ولهذا أحداث التَّاريخ تتكرر والذَّاكرة لا تتكرر؛ فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التَّاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام، لأنّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانيَّة متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النَّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم بشكلّ أو بآخر في الوصول إلى حلّ حتى وإن كان افتراضيّا.

ولأنَّ التذكّر حيويَّة العقل فإنَّ كلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف في الذَّاكرة حاضرًا فيه؛ كونه يمثّل الانطلاقة الثَّانية التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوّة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة؛ ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر كي تكون النِّهاية ملبِّية للخوف الثَّاني الذي كان محفّزا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعا، ونتيجة لما تحمله الذَّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ[28].

وعليه:

يعد التذكّر الفكري عمليَّة من عمليَّات الفعل العقلي المتعلّق بالمراجعات والاستقراءات بغاية الاستنباط والاستمداد الممكِّن مِن تدبُّر الحاضر وصُنع المأمول والتفكير فيما يحفّز على بلوغه ونيله.

ويمثل الماضي خزينا معرفيّا متعدّدا ومتنوّعا، بما يستثير العقل ويحفّزه على الانتباه والأخذ بما يجب اتعظا، فهو حافل بالكثير من التجارب المختلفة التي كان لها حضور واضح ومؤثّر سواء أكان ذلك على مستوى السّلب أم

[28] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

الإيجاب، ولهذا فإنَّ الوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي، والتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطّلب فيما بعد حاجة ملحة تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبِّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السّبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الماضي تفكيرًا فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولا مهمّة إلَّا أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في كثير القضايا متحقّقا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ ولذا تكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة.

ويدخل التفكير الماضي حقل التراث لكن ليس من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والايضاح، فالإنسان يمرّ بظروف تكاد تتشابه كثيرا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح هذا الاختلاف وجود آراء مختلفة وقد شكلّت هذه النهايات ممرّ تجرّ الأمور بعد ذلك إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرا حتى في القضية الواحدة؛ إذ تحكمه الكثير من الظّروف التي تتنوّع فلا تقف عند حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النِّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعيَّة في الحلول، فالماضي حمل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعيَّة التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيد، فلم يكن هناك حلا واحدا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا.

وعليه فإنَّ التذكّر يلفت الانتباه إلى أهميَّة الدّروس المتشابهة أو المتماثلة بغاية الاتعاظ وأخذ العبر وتفادي ما من شأنه أن يتكرَّر بذات المعطيات فيعيد نفسه وكأنَّ الماضي لم يمضِ عليه بأعوامه ودهوره.

ولهذا فالتذكُّر يمكّن المتدبِّرين أمرهم في زمنهم الحاضر من الإصلاح والتصحيح كسبا للوقت، واختصارا للجهد، وتوفيرا للإمكانات، ومن ثمَّ

يخرجهم من التخبُّط والحيرة؛ قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[29].

في مفهوم هذه الآية جاء الأمر صريحا للنبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام بأن يذكّر النَّاس بالحقّ لعلهم يهتدون رغبة وإرادة؛ ذلك لأنَّ المهتدي رغبة وإرادة يكون أكثر النَّاس تمسّكا بالحقِّ، وفي المقابل من يُجبر ويكره على الاتباع ولو كان الحقّ سيكون متخليا عنه متى ما سنحت له الفرصة (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ). فهنا يتعلّق أمر التذكّر والتذكير بالمعجزَات المنزّلة أمرا ونهيا، وهي الآيات التي تخبر عن كل ما أنزل متحقّقا، وتبلّغ عمَّا سيتحقّق لا محالة، أي إنَّها المذكّرة بما وقع وحدث وبما سيقع ويحدث يوم أن يأتي يومه.

أمَّا قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) فمفهومها يُرسّخ: أنَّه ليس للرّسول إلَّا التذكير، أي لا خيار له في التذكير، وفي المقابل يصبح الخيار للمذكّرين بالقرآن رغبة وإرادة: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[30].

ومع أنَّ الوعيد لا يتحقّق إلَّا في الزَّمن المستقبل فإنَّ التذكير به حقّ؛ بغاية تجنّبه قبل أن يتحقّق؛ ذلك أنَّه اليقين الذي لا يستدعي إلَّا التسليم به حيطة وحذرا قبل أن يأتي يومه، وإلَّا سيكون الأوان وقد فات؛ ولهذا ليس للنبي إلَّا التذكير به قبل أن يصل يومه. فالله تعالى مع أنَّه يعلم بما يقول

---

[29] الغاشية 21، 22.

[30] ق 45.

المشركون من تكذيب فإنَّه لا يقر الإكراه والجبر على الدين؛ ذلك أمر الله؛ مصداقا لقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[31].

وبغاية مزيدٍ من التدبّر ينبغي أن نميّز بين مفهومي (التذكّر والتذكير).

وعليه فإنَّ التذكُّر: هو الفعل في ذاته، وهو الذي يستدعيه المتذكّر بنفسه؛ قال تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}[32].

يفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ أهل النَّار لما أدخلوا إليها زمرا تذكّر كلّ واحدٍ منهم افعاله، ومع أنَّهم تذكّروا ما فعلوا، فإنَّ الذكرى لن تنفعهم أبدا؛ ذلك لأنَّ الفرصة أعطيت لهم وقد ضاعت من بين أيديهم؛ كونهم ذُكّروا تذكيرا حسنا غير أنَّهم لم يأخذوا بأحسن ما ذكِّروا به، ومن هنا فالنّدم لن ينفعهم، بل الفرصة كانت بين أيديهم وقد ضيَّعوها. قال تعالى: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[33]، أي مع أنَّ الله تعالى حريصٌ على عباده، فإنَّ بعض العباد ليسوا بحريصين على أنفسهم، أي إنَّ الله يضرب لعباده الامثال ليلفتهم إلى ما يمكن أن يقتدوا به؛ حتى لا يجري عليهم ما

---

[31] الكهف 29.

[32] فاطر 37.

[33] إبراهيم 25.

جرى مع الذين سبقوهم عبر الزَّمن واحقابه، ومع ذلك لا يتعظون ولا يعتبرون، ومن هنا تولد العلّة من بعد العلّة علَّة؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الثَّانية بَصَائِرَ للنَّاس وَهُدى وَرَحْمَة لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[34]؛ فقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يحمل مفهوم إعطاء الفرصة من بعد الفرصة، ذلك فمن لم يستجب للفرصة الثَّانية لعله يستجيب للفرص التي ستمنح من بعدها ولا قنوط؛ ومن هنا فإنَّ الغاية العظمى من وراء التذكير هي الهداية إلى الحقِّ بالحقِّ:{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[35].

وعليه فإنَّ التذكُّر نعمة عقليَّة أنعم الله بها على عباده؛ كونها تمكِّن الإنسان من المعرفة من خلال الوقوف على الشَّواهد (شاهدة شاهدة)، ومع ذلك هناك من لا يأخذ بالشواهد: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنَّاس فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[36].

استطلاع الخوف تدبُّرا:

يعد حُسن التدبُّر التفاتة عقليَّة بها يتجه الإنسان لنفسه وإلى ما ينبغي الاقدام عليه وفقا للحاجة والضّرورة، سواء أكانت الالتفاتة لصوغ خطة عمل، أم لرسم سياسات، أم لحل مشكلة وفك علل تأزُّمها.

---

[34] القصص 43.

[35] القصص 51.

[36] الزمر 27.

وحُسن التدبُّر عن وعي ودراية يجنّب صاحبه الوقوع في الفخّ، ويمكِّنه من إيجاد الحلول والمعالجات، وإيجاد كيفيَّة الدّخول إلى والخروج مِن؛ فالتدبُّر يتطلَّب الاجتهاد والمثابرة وفقا للأهداف المراد إنجازها بموضوعيَّة.

ويعد حُسن التدبُّر اجتهاد عقلي وفكري يمكّن الإنسان من الالتفات إلى نفسه ومعرفة ما يجب أن يقوم به أو يقدم عليه في الزَّمن الحاضر؛ ومن ثمَّ فالتدبُّر يتطلّب قبول الاستغراق في الحيرة وقبول تحديها تفكيرًا؛ حتى الخروج منها وعيا ودراية، وعن بيّنة تمكِّن الإنسان من:

. الخروج من الحيرة دراية.

. معرفة الحلّ.

. تجاوز المعيقات.

. إحداث النُّقلة.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولًات.

والتدبُّر الحسن لا يكون إلَّا عن دراية حسنة تستوجب تحديد الأهداف ووضوحها، ورسم السّياسات والخطط والاستراتيجيَّات التي تتطلّب عُدَّة واستعدادا مع وافر التهيؤ والتأهُّب وفقا للإمكانات المتاحة والممكِنة، التي تُمكِّن من العمل وبلوغ الحلّ.

ولأنَّ حُسن التدبُّر وعيا لا يمكن أن يكون عابرا، إذن فلا يكون إلَّا عن تمعُّن ودراية تامّة بما يجب وبما لا يجب؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[37]. ومع أنَّ مفهوم التدبُّر هنا جاء بمعنى أن القرآن كلّه يُعقل ويدرك؛ كونه آيات وشواهد بيّنة تدركها الحواس سمعا وبصرا ولمسا وعقلًا وبصيرة، فإنَّ البعض تعمّد عدم التدبُّر في آياته المعجزة؛ أي: مع أنَّ آيات القرآن شواهد حقٌ فأنكرها الذين كفروا؛ قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}[38]؛ جاء في هذه الآية الكريمة مفهوما يؤدِّي إلى الاستغراب الذي لا يكون إلَّا في دائرة الممكن البشري، أمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فلا استغراب؛ كونه يعلم الغيب والشهادة: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[39].

أمَّا مفهوم قوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) جاء مفهوما خاصّا بأهل الكتاب من يهود ونصارى، كونهم يؤمنون بالله؛ ولهذا قال (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ولمْ يقل (لِمَ تكفرون بالله)؛ لأنَّ أهل الكتاب يعلمون بأنَّه لا مستحيل ولا معجز إلَّا من عند الله؛ أي مع أنَّهم يشهدون بذلك ويؤمنون بالله تعالى فإنَّهم كفروا بآيات الله التي يعلمون ويعرفون بأنَّها المعجزة للقول والفعل والعمل والقوّة وإن عظمت.

---

[37] محمَّد 24.

[38] آل عمران 70.

[39] الجمعة 8.

ومع أنَّهم أهل كتاب ويؤمنون بالله تعالى؛ فإنَّهم كفروا بالحق (كفروا بآيات الله)؛ ولهذا فإنَّ الله غني عن الكل، والكل في حاجة إليه، ومع ذلك فإنَّ أهل الكتاب أهل خصوص كونهم يعلموا الحقّ من عند الله: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[40]، وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[41]. تشترك هاتين الآتين في المفهوم ولكل الدِّيانات الإبراهيميَّة كون أهلها يعلمون الحق المنزَّل؛ ولذا فمن ينكر الحقّ المنزَّل يعدُّ من الكافرين حتى ولو كان من أهل الديانات الإبراهيميَّة.

وعليه: ينبغي على المؤمنين أن يتدبّروا القرآن حتى يتدبّروا آياته، آية من بعد آية؛ بغاية أخذ العبر والمواعظ من المعجزَات والمستحيلات التي ليس لها مفاتيح معرفيَّة إلَّا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّار وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[42]. لقد كفر مِنْ أهل الكتاب مَن كفر؛ كونهم لم يتدبّروا القرآن آية من بعد آية، وهم كفروا لأنَّهم يعلمون الحقيقة ولكنَّهم أنكروها،

---

[40] آل عمران 97.

[41] العنكبوت 6.

[42] المائدة 72 – 75.

أي: يعلمون أنَّ الله ليس المسيح ابن مريم؛ فهم فمع أنَّهم يؤمنون بالنبي عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام فإنَّهم لم يأخذوا بما أخبرهم به وأوصاهم وبشّرهم؛ مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}[43].

ولأنَّ الخطاب موجّهٌ من النبي عيسى إلى بني إسرائيل؛ فبنوا إسرائيل هم الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم؛ وذلك بغاية الانحراف بالمسيحيّة عن صوابها المنزَّل. أي: لأنَّ المسيحيَّة جاءت منزَّلة وناسخة للديانة اليهوديَّة؛ فإنَّ الذين لم يؤمن من بني إسرائيل بالديانة المسيحيّة هم الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

ومع أنَّ آيات القرآن شواهد تلفت العقل وتثيره، وتستفزّه فكرا وعلما وبحثا، فإنَّ بعض العقول عمدت أنْ لا تتدبّره؛ ومن هنا فالذين تدبّروه التفتوا إلى أنفسهم اعترافًا بالحقِّ؛ وذلك بالتفاتهم إلى آيات الخالق العظيمة التي جعلتهم على الايمان وهم في أحسن تقويم.

وعليه فإنَّ التدبُّر وعيا يؤدِّي إلى:

. إنجاز الأهداف.

. رسم السياسات.

---

[43] الصّف 6.

. رسم الخطط والاستراتيجيَّات.

. معرفة الحلّ.

. تحقيق الأغراض.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولًات.

. تعظيم القيم الخيّرة.

. المزيد من الدّراية والمعرفة.

. المزيد من الخبرة والتجربة.

والتدبُّر مع أنَّه قيمة فإنَّه لا يكون إلَّا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلَّا من أجل المستقبل قريبا كان أم بعيدا؛ ولهذا فالحاضر تدبّرا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطا وعملا حتى يعيشه وجودا، وكما يأمله في دائرة الممكن، ومن هنا فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ، فالتدبّر دراية عقليَّة يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادا وعلما ومعرفة، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيَّات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي

المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزَّمن الحاضر دون أن تترك أثرا سلبيّا.

ويتّسع التدبّر ارتقاء ليكون حضوره ملبِّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولا دائمة، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيّا في البحث عن حلول تكمن فيها النِّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزَّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيّا، بل وقتيّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالا حاصلًا بالكيفيَّة الآنيَّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرًا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر،

فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليَّات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرًا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثَّانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرا لم تكن واحدة، بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرًا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

وكذلك ما حدث مع الطّفل المغربي ريَّان ذو السنوات الخمس، الذي مأساته شدّة انتباه العالم وأنظاره يوم 1-2-2022م بمنطقة (باب برد) بالقرب من مدينة شفشاون، ريَّان الذي سقط في البئر وارتكن فيه ضيقا

على عمق 32 مترا (منتصف عمق البئر تقريبا)، ولقد بقي في البئر محصورا في ضيقه حوالي 90 ساعة، وهو يعاني من شدّة الألم والبرد والجوع والخوف والرّعب من شدّة الظلمة؛ ولذلك يعد هذه الزَّمن طويلا جدّا على حياة الطفل وبخاصّة إنَّه لم يتمكَّن من الاكل ولا من الشُّرب، ولا من التدفئة، ومع أنَّه الوقت الطويل، فإنَّه بأسباب الحيطة والحذر تدبُّرا كان ضروريّا وفقا لبساطة الآلات المستخدمة إذا ما قورنت بغيرها من الآليَّات المتطوّرة تقنية، ويا ليت المتدبّرين أحسنوا تدبيرهم واستخدموا غيرها من الآليَّات الأكثر تطوّرا وتقدّما.

إنَّه البئرٌ ضيّق القطر (لا يزيد قطره عن 35سم) مما جعل النزول إليه متعذرا، ومع ذلك كان التدبّر يلاحقه حفرا بغاية إخراجه حيّا قدر الإمكان؛ فكانت الاستشارات بين الخبراء والدّول مع المملكة المغربيَّة بغاية إنقاذه؛ وذلك لتفادي تلك الانهيارات التي قد تحدث بأي علّة من العلل وتكون خطرا على حياته وعلى حياة المنقذين حفرا، ومع ذلك ثم الوصول إليه حفرا موازيا بسلام؛ حيث لا انهيارات حدثت، غير أنَّ الاعمار بيد الله فلم يكن الوصول إليه في الزَّمن المنقذ للحياة؛ فمات ريَّان، ولكن بحسن التدبّر لم يقبر في البئر، بل قبر دفينا كغيره من الأموات.

ولهذا يتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبِّيًا أو محتويا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيّا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه؛ ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولا دائميَّة، لكنّها في وقتها

قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النِّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضيَّة ممّا يكون مستقبلها حاصلًا ومنتميا لهذه الافتراضات.

ومن هنا فإنَّ الشَّخصيَّة المتدبِّرة تعتبر الحلّ الآني تدبّرا يسهم في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرُّؤى العامَّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيَّات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمراريَّة حقيقيَّة تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الايضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلًا ومؤثّرًا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيَّات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيزا واضحا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة؛ كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب، وعليه:

. حُسن التدبّر من الحكمة.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبُّر مشاركة وفاعليَّة.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. حُسن التدبّر يمكّن من صناعة المستقبل.

. حُسن التدبُّر حيويّة عقليَّة وفكريَّة.

. حُسن التدبُّر يدير العقول.

. حُسن التدبُّر يمكِّن من النهوض.

. حُسن التدبّر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. حُسن التدبّر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. حُسن التدبّر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التدبّر يمكّن من إيجاد الحلول.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. حُسن التدبّر يمكّن من بلوغ الغايات.

. حُسن التدبّر يحفّز على نيل المأمول.

. حُسن التدبُّر يمكّن من كسر القيد.

. حُسن التدبُّر يمكّن من معرفة غير المتوقّع.

. حُسن التدبُّر يمكّن من طي صفحات الوهم.

. حُسن التدبُّر يمكّن من بلوغ الخوارق.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزَّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنيَّة التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ وذلك لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة

الأمر لا تمتلكه؛ كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقا لما هو ممكن سواء أكان الممكن متوقعا أم أنَّه على غير متوقّع.

وهنا تباشر الشَّخصيَّة المتدبِّرة وجودها من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيَّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبِّيًا للواقع، ويكون الزَّمن مفتوحا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملا.

والشَّخصيَّة المتدبِّرة في حاضرها تبحث عن سُبل كثيرة تريد من خلالها الوصول إلى مبتغاها تدبّرا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلًا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرًا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلًا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبِّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب،

والتسليم بما هو موجود غير مطلوب؛ ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[44].

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقا؛ ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة الأخلاقيَّة ترى ضرورة:

- التواصل مع التَّاريخ.
- تقبُّل الآخرين.
- التواصل مع الآخر.
- التواصل مع القدوة.
- التطلّع للمستقبل.
- العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.
- استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

- عدم التواصل مع التَّاريخ.

[44] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة المتعلمين.

. بيّن لهم نقاط الضّعف التي تشوّه الذَّاكرة وتطمسها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذَّاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصيَّة قويّة متدبِّرة متحدِّية للصّعاب؛ فالشخصيَّة القويَّة المتدبِّرة هي التي لا تغفل عن معطيات الزَّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي؛ كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة؛ كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشريَّة وعلم النَّفس والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذَّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذَّاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيّرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزّة.

. التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

ومن هنا فإنَّ مفهوم التدبُّر يرمي إلى الحكمة التي يصوغها العقل البشري بغاية الاقدام الآمن، أو الانسحاب الآمن، أو بغاية التحايل والالتفاف والمناورة.

ولذا فالعلاقة قويَّة بين إيجاد الحكمة وحسن التدبُّر؛ كون كلّا منهما مولود حسن التفكير الموضوعي؛ حيث لا مجال للعاطفة على حساب تقرير المصير أو إحداث النُّقلة وبلوغ الغايات ونيل المأمولًات.

وقد جاء مفهوم التدبُّر من أصل الكلمة وتصريفاتها اللغوية (دبَّر – يدبّر – تدبيرا)، وهي بهذا المفهوم كمن يقول: (فكَّر – يفكّر – تفكيرًا)؛ ومن هنا ارتبط حُسن مفهوم الحكمة بحسن مفهوم التدبُّر دلالة ومعنى؛ ولذا فكما تخرج الحكمة أصحابها من التأزُّمات يخرج التدبُّر أصحابه من التأزُّمات أيضًا.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التَّاريخ ويصنع الذَّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن ثمَّ يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّنٌ من إحداث النُّقلة، ومحقّقٌ للرفعة المأمولة؛ ولذلك يجب على الحكماء وإخصائي التنمية البشريَّة والخدمة

الاجتماعيَّة والرّعاية النفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. التأكيد على أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحدين لها.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامَّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزَّمن اجتماعيّا وإنسانيًّا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيّا وإنسانيًّا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرًا. إذن على العلماء والحكماء والأخصائيين الاجتماعيين والنَّفسيين وإخصائي التنمية البشريَّة الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقا لأولويَّاتها وأهميَّتها بالنّسبة إلى كلٍّ منهم.

. أنْ يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيّا أو إنسانيّا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

وبناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيَّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيًّا ومعرفيًّا مع الأفراد والجماعات؛ لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين الأفراد أو العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النَّظر عن أهميَّة قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء خيالا، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

وعليه: ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النُّقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكّن من معرفة الأسباب.

وبما أنَّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوَّة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النُّقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزَّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطا بين متوقّع وغير متوقّع[45].

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذَّاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنَّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنَّافع، حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

---

[45] عقيل حسين عقيل، الشّخصيَّة المتهيأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 94 – 108.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرُّموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك، حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر؛ لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[46].

ولسائل أن يسأل:

وما الفرق بين التدبُّر والتذكّر والتفكُّر؟

أقول:

الزَّمن أوَّلا؛ إذ لا تذكُّر إلَّا لماضٍ، ولا تدبُّر إلّا لحاضرٍ، ولا تفكّر إلّا لمستقبلٍ. ومع ذلك الكل يتم في الوقت الحاضر، فالذي يتذكَّر في حاضره ليس له إلَّا الالتفات إلى الورى، إلى ذلك الماضي قريبه أو بعيده، أمَّا الذي يتدبّر أمره حاضرًا ليس له إلَّا العمل، وفي المقال فإنَّ الذي يفكّر في الزَّمن الحاضر بغاية مستقبله فليس له إلَّا رسم السياسات والخطط والاستراتيجيَّات إذا أراد بلوغ حلٍّ أو صنع مستقبل وإحداث نُقلة.

---

[46] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

التدبُّر دراية عقليَّة:

الدِّراية العقليَّة دراية واعية، والتدبُّر عقلًا ومعرفة ومفهوما لا يكون على كفّة التوازن اعتدالا حسنا إلَّا بكفّة الحكمة المنقذة من الغفلة والتيهان؛ ولذا يعدّ التدبُّر دراية عقليَّة حسنة من حسنات حُسن التفكير.

ومن هنا فالتدبُّر الحسن ليس مجرّد تفكير نظري، بل لا يكون إلَّا عن مقدرة والمام بما يجب تجاه الأهداف والسِّياسات المرسومة والخطط، ولهذا فالتدبّر يربط بين حُسن التفكير وجودة العمل؛ ذلك أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا وكل شيء محسوب حسابا دقيقا، ووفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ولهذا فالعقل دراية مقدرة واسعة تكشف العلاقة بين السّماوات والأرض من خلال استيعاب المعجز، ومعرفة المستحيل، والبحث الممكِّن من اكتشاف المتوقّع وغير المتوقّع، فالعقل دراية وارتقاء قيمة تفضيليَّة خصّ الله بها الإنسان خَلقا وخُلقا فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي أن يكون على الفضائل الحميدة التي فضّلها الله، وعلى القيم الخيِّرة التي ارتضاها النَّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[47].

نعم. إنَّه التفضيل للإنسان الذي يمشي سويّا على صراطٍ مستقيم، والذي شاء الله أن يكون خليفته في الأرض؛ ولذا فالفرق كبير بين من يمشي مكبّا على الأوجه ومن يمشي سويّا (مقوّما)؛ ذلك هو أمر الخالق ومشيئته

[47] الملك، 22.

التي شاءت التفضيل لمن يمشي سويّا على غيره من المكِبّين؛ إنَّها الفضيلة الباقية التي لا تتبدّل؛ كونها صُنع الخالق، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي لا تكون إلَّا بيد المخلوق.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات المكِبّة والزَّاحفة أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ بعض البحّاث لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي المقابل

يمكن للإنسان الذي يمشي سويّا أن ينحدر خُلقا فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقا، أي: يُمكن أن تصبح أخلاق الإنسان سُفليَّة ودونيَّة، أمَّا خَلقه فسيظل في أحسن تقويم، ولن يتبدّل.

وهذا ما حصل مع الإنسان الثَّاني (آدم) عليه السَّلام الذي خُلق في أحسن تقويم ولم يُخلق على الكمال، إنَّه الإنسان الذي خُلق مسيّرا ومخيّرا (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر فيُتاب عليه.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن رُقيّا فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألَّا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم، وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[48]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة دراية تامَّة وكاملة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق ولا تتعلّق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

[48] البقرة، 37.

ومن ثمّ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمَّا الاستثناء في دائرة الممكن ألَّا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة، وهي: متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة دراية.

وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقا فَفَتَقْنَاهُمَا}[49]؛ ولأنَّ الإنسان الثَّاني خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خَلقهُ في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[50].

ولذا فأساس خَلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خَلقا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكُلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[51].

---

[49] الأنبياء، 30.

[50] التين، 4.

[51] البقرة، 35، 36.

ومن هنا جاء انحدار أبينا آدم عوضا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خَلقا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[52]؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ (في السّماء)، ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم فبعد الدّراية تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[53]، ولهذا فقد استثني آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}[54].

وعليه:

فالإنسان الثَّاني (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء؛ وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو المنهي عنه: (ألَّا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرا؛ إذ لا إمكانيَّة له في ذلك (إنَّه صُنع الله).

ولذا فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا كيفا؛ كونه يتعلّق بالدّراية لا بالماديَّات، وهكذا حال النُّقلة التي لا تكون عقلًا إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ، وهي تختلف عن النَّقلة التي لا تكون إلَّا مادَّة.

---

[52] التين، 5.

[53] البقرة، 37.

[54] التين، 6.

إذن: فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا وعيا، وبه يتم التمييز بين ما يجب وما لا يجب، وبه دراية يتم الاقدام على ما ينبغي، والانتهاء عمَّا لا ينبغي، ومن هنا تتحقق الرّفعة بكل ما يؤدِّي إلى النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، أي: إنَّها تتحقّق بالتخلّي عن كل ما يؤدِّي إلى السُّفليَّة والدّونيَّة.

ومع أنَّ خَلق الإنسان جاء على الرّفعة خَلقا، فإنَّه أخلاقا يقع فيما يؤدِّي به إلى الدُّونيّة والسُّفليَّة؛ ولذا فلا ارتقاء إلَّا بفضيلة حميدة أو قيمة خيِّرة، ولا دونيّة إلَّا بالتخلّي عن الفضائل والقيم.

ومع أنَّ أمر الارتقاء الآدمي جاء خَلقا مميّزا عن غيره من المخلوقات وبقي متميّزا وسيظل، فإنَّه أخلاقا انحدر سُفليَّة؛ ذلك لأنَّ أمر الخَلق بيد الخَالق جلَّ جلاله، أمَّا أمر الأخلاق فبيد المخلوق الذي خُلق على التسيير خلقا، وتُرك له التخيير فيما يشاء إرادة سواء أكان ما يشاءه دراية عن فضيلة وقيمة، أم ما يشاءه بلا فضيلة ولا قيمة.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبّا، وسيظل الزّاحف زاحفا، وسيظل من يمشي سويّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ فسيظل القرد قردا، والإنسان إنسانا، والسّمك سمكا.

ونظرا لأهميَّة الإنسان في الوجود الخَلقي جاء خَلقه من عجلٍ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[55] والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئا، فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل

[55] الأنبياء، 37.

(على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[56]. مع العلم أنَّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين، وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}[57]، والسّلالة هي: النَّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها؛ وذلك لأنَّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق عن السماوات، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا فالسّلالة تدلّ على أصل الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات؛ حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنسا ونوعا)؛ ولذا فلا عجل، ولا عبثيَّة في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[58].

ولأنَّ الإنسان الثَّاني (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم فهو من حمإ مسنون (من مادّة ذات جودة عالية)؛ إذ لا شائبة، ومن ثمّ فلا طين يماثلها، فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

---

[56] التين، 4.

[57] المؤمنون، 12.

[58] الحجر، 26.

ومن هنا خُلق الإنسان مُفضّلا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَة قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[59].

ولأنَّ الإنسان هو المفضّل خَلقا، وله ملكات العقل الدَّارية، فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[60].

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}[61]، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء وكذلك النّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاء، كان آدم نبيّا للملائكة والجنّ والإنس جميعًا: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إِلَّا

---

[59] البقرة، 30.

[60] البقرة، 31 . 33.

[61] البقرة، 34.

إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنَّ الذي سجد الملائكة له لم يكن على الارتقاء مفضَّلا؟

أمَّا الخَلق الثَّاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق): {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[62]، وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثَّانية تختلف عن السّلالة الثَّانية، فالسّلالة الثَّانية: من طينٍ لازب، والسّلالة الثَّانية: من ماءٍ دافق مَهين: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ}[63].

ولأنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[64]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة تميُّزا فينبغي أن يكون عليها كبدا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى خيرا استقامة واعتدالا ولا مظالم، فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدِّي به إلى الرّفعة والارتقاء دراية.

وعليه: تعدّ الأخلاق نتاج الفضائل الحميدة، والقيم الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، فبها يرتقي الإنسان قولا وفعلا وعملا ومعرفة

---

[62] النحل، 4.

[63] السجدة، 8.

[64] البلد، 4.

وسلوكا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

وبما أنَّ الإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) فإنَّ غايته الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم يخسرها بلا ثمن؛ ولذلك فالإنسان الثَّاني قد خُلق من تراب الجنّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده، فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقَّع وغير متوقَّع، فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم؛ حيث عدم التزامهما بالأمر النَّاهي عن الأكل من تلك الشَّجرة المنهي عنها: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[65].

ولذا فإنَّ البقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقا أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدُّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة فبعد أن تَلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

[65] البقرة، 36.

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[66]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جميعًا}[67].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاء، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدُّنيا إلّا تنزيلا؛ لأداء مهمّة تربط أمرا بين السّماء والأرض، ونحن نجهله فلا ندريه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّح فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[68].

ولأنَّها الأرض الدُّنيا وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن: فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة، والنّاهية، والآمرة، والمحذّرة، والمنذرة، والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاء، وتُلفت المختلفين إلى ما يؤدِّي بهم إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة دراية.

---

[66] البقرة، 37.

[67] البقرة، 38.

[68] القدر، 3 . 5.

فَأُنزلت الرّسالات دراية تأمر وتنهى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[69]، بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء أكان آدم وزوجه في الجنَّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارا، غير أنَّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارا على الإنسان الثَّاني (آدم) ومَن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاء كاملا.

أمَّا بعد الهبوط فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك فإنَّ بقاءها في الحياة الدُّنيا هو بغاية الاتعاظ، وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببًا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه: (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة) فظلّ هذا الدّرس شاهدا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة، أي: بما أنَّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن: فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

[69] البقرة، 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[70].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرا حاسما لمخالفة جرت في الجنّة إذن: ألا يعدّ أمر الهابطين أمرا حاسما في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مُخرجٍ من هذه الأزمة وأنَّ معظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدونيَّة؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعًا}[71].

من هنا وجب إعمال العقل دراية حتى التبيّن وعيا دون إكراه، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم: (جهلا أو تعلّما)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء وعن دراية.

ولأنَّ الأخلاق ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها عقلًا ودراية لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبَّة، بدلا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[72]، أي:

---

[70] الأنعام، 160.

[71] الزمر، 53.

[72] يونس، 99.

فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنَّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعًا}[73]؛ لذلك كان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق دراية وارتقاء، فالأخلاق تعد قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السُّلوك يصبح سلوكها قمّة، ومن هنا فمن أراد أن يكون قمّة فعليه بعقله دراية.

ولأنَّ الارتقاء خَلقًا لا يكون إلَّا بيد الخالق فقد خَلق الخَالق آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنَّة الصّلصال)؛ إذ لا إنس من قبله، ولأنَّه كذلك جعله الله على الارتقاء نبيّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة أمر الخالق أُهبط به والأرض، وكذلك معه من كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وأيضًا من قَبِلَ الإغواء معه معصية (زوجه)، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندما واستغفارا وتوبة، ولكنَّ قرار الهبوط نافذ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[74].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه دراية، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه والهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء، فآدم عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيّا؛ لِيُنبئ من بُعث إليهم

---

[73] يونس، 99.

[74] الأعراف، 24.

نبيّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[75]، وهنا يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنَّة ارتقاء تلك الجنَّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيما على الأرض المغبرّة التي أُهبط بها أرضا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له عقلًا ودراية إلَّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم، ومن ثمَّ أدرك آدم دراية أنَّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عقلًا ودراية.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكِّن من إحداث النُّقلة وتحقيق الارتقاء دراية ورفعة، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه، فهما ولدا في الحياة الدُّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجَّة وموعظة وعبرة، فبدأ العمل دراية وارتقاء من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبيه الذي شهد ذلك النّعيم فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارا وسُفليَّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّار وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[76].

---

[75] طه، 122.

[76] المائدة، 28 . 30.

وعليه:

فالارتقاء عقلًا ودراية مؤسّس على الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ وذلك ارتفاعا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، حتى بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة الممكِّنة من بلوغ الجنَّة عيشا رغدا، ومن هنا وجب عمل العقل عن دراية بالعمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة:

. تغذي الرُّح نشوة.

. تطمئن النَّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا دراية عقليَّة إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارا من بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيّا ينبئ بما عُلّم به من قِبل

خالقه، ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاء أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود، من أجل العيش الرّغد؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصا ودراية، حتى الارتقاء بالأرض الدُّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن هنا وجب العمل الممكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسا من تروس عجلة الحياة العامَّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطَّريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

وعليه: فبنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم

من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية عقليَّة واعية.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرَّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار عِلَّة.

إذن: فعلى العقل الآدمي دراية أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولًات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردا بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّة وَاحِدَة وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[77]، ولهذا

[77] هود، 118، 119.

فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل ساريا صراعا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودراية أن تحدّد الأهداف وفقا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

وعليه: فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف دراية وارتقاء، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم دراية يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما غلبت الشهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر دراية حدّد أهدافا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدِّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولًات قمّة وارتقاء.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ، ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة ومهنيّة، ومع ذلك ينبغي أن يتم اخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ

اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيما وفضائلا؛ وذلك أوّلا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاء، وثانيا: محاسبة من أنحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدِّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدا دينيّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاعا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن

من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب دراية ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة، فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

وعليه: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلا وتفسيرا وتخطيطا وسلوكا وعملا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم وعيا ودراية يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم عقلًا ودراية من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم قد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي عقلًا ودراية، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)، ومن هنا فإن كنتم أهل موضوعيَّة فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملأه العلم

والبيّنة والدِّراية؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية ومن بعدها آيات.

وعليه: فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدُّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودراية لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

إذن: فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزَّائلة (الحياة المنقوصة)؛

حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدُّنيا، التي تتطلّب العمل عقلًا ودراية بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية)، ثمَّ نيل المأمول جنّة؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرضى بنو آدم بالفقر، فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ ولذا فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

استطلاع الخوف تفكُّرًا:

التفكُّرُ مقدرة عقليَّة وكأنَّه حلقة وسط يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ولذا نجد التذكّر يتصل بالماضي وفقا لأحداث وقد حدثت؛ وذلك بغاية الاتعاظ وأخذ العبر، وفي المقابل في الوقت الحاضر يتم التفكُّر في الزَّمنين بغاية صُنع المستقبل المأمول ونيله.

ولذا يعد التفكُّر درجة من درجات الادراك العقلي للمراجعة بغاية المستقبل المأمول (استثارة العقل من الحاضر إلى الماضي بغاية التخطيط للمستقبل)

والتفكّر لا يكون إلّا في قضية أو موضوع أو مشكلة محيّرة، وهو من أعمال العقل وعمليَّات الذّهن، وهو يُمكّن من المعرفة والدِّراية (ملاحقة المعلومة أو الفكرة) وإدراكها أينما كانت بحثا أو تفكيرًا بهدف التخلّص من الحيرة المقلقة؛ فالتفكّر كونه يمكّن من إدراك الشيء قبل فوات أوانه، يعدّ حيويَّة العقل ونشاطه توجيها إراديّا، وهو لا يقتصر على التفكّر في المتوفّر من المعلومات أو المتوفّر بذاته للمشاهدة، بل يمتدّ في دائرة الممكن إلى معرفة المزيد المضاف والمبدع.

ولأنّه التفكّر؛ فهو يلاحق كلّ ما يقع في الزَّمن، وغايته معرفة طبيعة المتعرّف عليه، والاستفادة منه حاضرًا ومستقبلا، أمّا غايته فهي: التجويد وإحداث النُّقلة وصُنع المستقبل، ونيل المأمول أو الفوز به.

ولهذا فالتفكّر تشغيل العقل وتوجيهه تفكيرًا فيما يجب أن يكون غاية وأملا، فإنْ كان المأمول مرتبطا بماضٍ فتشغيل العقل تفكّرا يقود إليه، مثل: أبونا آدم عليه السّلام الذي في زمانه أصبح يفكّر في العودة إلى تلك الجنّة التي افتقدها بعد أن أهبط به والأرض إلى الحياة الدُّنيا. أمّا بالنسبة لبنيه من بعده فالتفكّر يربطهم بالمستقبل المأمول، ولأجل ذلك وجب الاتعاظ حتى لا يتمّ الإغفال عن التفكّر في المستقبل: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[78]، فإنْ تذكر بنو آدم تلك الآلام التي حدثت بعلل التفكير اتعظوا، ومن ثمّ ليس لهم بدّ إلّا التفكّر فيما يجب أن يصنع لهم مأمولًا

[78] الأعراف 176.

ومستقبلا عظيما. أمّا التفكّر في المجرّد فدائمًا ينقل المفكّرين إلى ما يمكّنهم من المعرفة المضافة كما يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

ويرتبط التفكّر بالمستقبل المأمول وهو يمثل الامتداد الطَّبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبرى في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الثَّانية، فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسّعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعليَّة تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الايضاح سمة مطلوبة؛ كي

يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر[79].

ولذا علينا أن نميّز بين مفهومي (يتفكَّرون، ويفكّرون)؛ قال تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ}[80]؛ قال يتفكّرون ولم يقل يفكّرون؛ ذلك لأنَّ قوله (يتفكّرون) يرسّخ بدون شكّ مفهوما واضحا ودالا على اسبقيّة خلق السّماوات والأرض وجودا خَلقيّا، ولأنَّها آياتٌ شاهدةٌ فهم في خلقها يتفكّرون، أي: يتفكّرون في كيفيَّة خلقها آيات معجزًات وسابقة على وجود العقل المدرك لها يقينا معجزًا، ذلك العقل الذي كلّما أدركها سلّم اعترافًا بالمستحيل الذي لا يكون إلَّا بيد الخالق الأعظم جلَّ جلاله.

أمَّا لو قال: (ويفكِّرون) فهنا يصبح الأمر متعلّقا بما يجب أن يكون، وليس بما هو كائن وهو المرسّخ بقوله (ويتفكّرون). أي إنَّ مفهوم القول (يفكّرون) يتضمّن في معناه التردّد وكأنَّ السّماوات والأرض ليست بشاهدة أمام المدركات الحسيَّة؛ ولذا فقوله يتفكّرون يستند على الحجّة الماثلة أمام المشاهدة والملاحظة، أمَّا القول يفكّرون يشير إلى أنَّ الحجّة قد لا تكون بين الأبصار أو أنَّها غائبة، ولهذا فهم في حاجة ولو لبرهة من الزَّمن ليفكّروا في الأمر؛ ولذلك فالذين تفكّروا في خلق السماوات والأرض اعترفوا بالحقّ المنزَّل

[79] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 89 . 96، 2018م.

[80] آل عمران 191.

حُجّة وبرهانا (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ). وقال تعالى: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}[81] تتعلّق هذه الآية بقصّة الوليد بن المغيرة والد خالد بين الوليد (سيف الله المسلول) الذي لما سمع من القرآن ما سمعه من الرّسول استشعر في نفسه أنَّه الحقّ، ومع أنَّه قال: إنَّه الحقّ فإنَّ قومه ضغطوا عليه وعلى رأسهم أبو لهب، بأنْ ينكر اعترافه بالحقِّ، أي إنَّه فكّر بين أمرين: الإيمان أو الكفر؛ ولذا فهو بين أمر الاعتراف بالحقِّ، وبين ترضيّة قومه كفرا؛ ومن ثمَّ فقد كفر بالحقِّ، أي إنَّه على الرُّغم من تفكيره استكبر على الحقِّ ومال إلى تقدير قومه، أي: بدل أن يُقدِّر كلام الله وقوله؛ قدّر القول الذي من دونه؛ ومن هنا فإنَّ التفكّر الذي يؤدِّي إلى عدم الاعتراف بالحقيقة وإنكار الحق لا يعد تبدّرٍ؛ ذلك أنَّ التفكُّرَ يعني:

. حُسن التفكير.

. حُسن الاختيار.

. حُسن القرار.

. حُسن الحكمة.

. حُسن الدِّراية.

. حُسن القول.

. حُسن الحُجَّة.

[81] المدثر 18.

. حُسن البرهان.

. حُسن الاستنارة.

. حُسن الدِّر اية.

. حُسن التخطيط.

. حُسن الفعل.

. حُسن العمل.

. حُسن السُّلوك.

وعليه:

مع أنَّ المستقبل لا يكون إلَّا في الزَّمن الآتي بعد كلِّ قول أو فعل أو عمل، فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا في الوقت الآن؛ ولذا فصُنَّاع النُّقلة من الوقت الآن إلى المستقبل يعملون ليلا نهارا من أجل تحقيقها عملا به تتغير الأحوال من مستوياتها الدُّنيا إلى المستويات المأمولة رفعة.

ومن هنا فصُنع المستقبل تَفكير وتخطيط وعمل مُضني بغاية إحداث النُّقلة إلى الأفضل والأجود مما عليه الإنسان في زمنه الحاضر إلى مستقبلٍ يأمله وهو الأرفع مما هو عليه من أحوال علميَّة وسياسيّة واقتصاديَّة ونفسيَّة وأخلاقيَّة، ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النَّوعيّة، فهو الممكِّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة (الذَّاتيَّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى

المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيَّة والذوقيّة والثقافيّة، كما يعتمد على التعليم والتعلّم استطلاعا لإحداث نُقلة عظيمة تغيّر الأحوال إلى أحوال مملوءة منفعة وطمأنينة مع وافر الرّضا.

ولهذا فالقاعدة هي:

. العمل على تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. البقاء على حالة من التخلّف.

ولذا فحسن التفكُّر والاعتراف بما يُبذل من جهودٍ حسنٍ، يؤدِّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيَّة والرّضا النَّفسي ويغرس الثِّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهميّة العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنَّ التقدير قيمة رفيعة وكذلك الاعتراف قيمة رفيعة بين النَّاس الذين يميّزون بين ما يجب وما لا يجب، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ أخلاقي وإنساني، وهنا يقول فرنسيس فوكو يامًا: إنَّ الرَّغبة في الاعتراف والتقدير المحركان للتاريخ هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك

يؤكد هيجل كيف أنَّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التَّاريخ في معركة دمويَّة من أجل المنزلة والمكانة الرفيعة.

ولأنَّ حُسن التدبُّر وحُسن التفكُّر والتقدير والاعتراف تمكِّن من إحداث النُّقلة النَّوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدّمه له قيمة؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبوديّة، يأمل أن يكون سيّده راضيا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنَّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد، وأيضًا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميَّة والجماليّة) فهؤلاء جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي؛ إذ لا نُقلة بدون اعتراف وتقدير لما يجب ولمن يجب.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمّية التي هم عليها، ثمّ

إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. كُن حسن التفكّر؛ لتكون أكثر استنارة.

. كُن حسن التفكّر؛ لتصبح أكثر دراية.

. كُن حَسن التدبُّر؛ لتعرف ما لك وما عليك.

. تجاوز بحسن تدبّرك الوقوف عند التنظير.

. استعد للعمل عن حُسن تدبُّر.

. تهيأ للعمل عن حُسن تفكّر.

. تأهَّب للعمل عن حُسن تفكير.

. أقدم على العمل والمأمول نصب عينيك.

. أقبل بتحدِّي الصّعاب فإنَّها لا تستطيع الصُّمود أمام المتحدين لها.

. كن إيجابيّا لتنل التقدير.

. كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أنَّ الاعتراف يحقق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. ثق أنَّك لن تحدث النُّقلة بدون جهود تعاضدك.

. ثق أنَّك قادر على كسر القيد فلا تتأخر عن كسره.

. تأكّد أنَّ القيد قد كُسر؛ حتى لا تقع في فخّه أكثر من مرّة.

. ثق أنَّ صُنع المستقبل لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر.

. ثق أنَّ زمن الحيرة تدبُّرا لا يصمد أمام الصَّامدين فاصمد حتى وإن شعرت بضيق.

. ثق أنَّك بالاعتراف والتقدير تنال الاحترام وتُزال من أمامك المعوقات.

وعليه ينبغي على المسئولين أنْ لا يغفلوا عن:

. حُسن التدبُّر وفقا للإمكانات يُمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التفكّر يُمكّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولًات.

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوّعة، والجماعات الممارسة للسياسة

والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيَّات لمجتمعاتهم أو دولهم أو لوضع رؤية مع الغير.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنَّهم مفردات أساسيّة في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليَّات ينبغي أن تُحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معا) من أجل إحداث النُّقلة للجميع.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهميّة هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم تحت مظلة الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدّفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبُّلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد أخلاقيّة وأبعاد إنسانيّة جليلة.

. ضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة، وبين أصحاب الحاجات المنقوصة والحاجات المشبعة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد، والنُّقلة العظيمة لا تكون إلَّا بالجميع ومن أجل الجميع.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابيَّة التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة بغاية إحداث النُّقلة رفعة إنسانيَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلّبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصَّغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزَّمن، والعمل على إشباعها ونقلهم مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه نُقلة.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخليَّة أو خارجيَّة، أم أمر سلم، أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين)؛ ولذا فلا إمكانيَّة لتحقيق النُّقلة ما لم يتمكن الجميع من المشاركة البناءة.

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الدِّيمقراطيّة بشفافيّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول نُقلة.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنيّة رفعة.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة الممكن من إحداث التغيير وبلوغ النُّقلة علما ومعرفة ودراية.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيّات قانونا ودستورا؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميَّة والسياسيّة والاقتصاديّة، للتعرّف على المتغيرات المستحدثة، التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيَّات التي تحقق النُّقلة ورفعة الشأن للفرد والجماعة والمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء مع وافر المحبَّة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليّة؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع المشتركة.

. ترسيخ لغة ومفهوم (النحن)، حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، ومن ثمَّ فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثِّقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريّة ينبغي أن أعم النَّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي أن أكون في السُّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوَّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من

مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم حجّة إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النَّاس كلّ النَّاس الذين لهم حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، وأنا صاحب السُّلطة ومالك الثروة، وأنت الذي استولى عليهما بغير حقّ؛ فأرحل خير لك من أن ترّحل؛ ولذا فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ وفي المقابل نحن معا نحدث النُّقلة.

من هنا تتَّضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من حُسن التدبُّر والالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركا.

. تفهَّم ظروف النَّاس يتم تفهّم ظروفك.

. التفت للنَّاس يلتفتون إليك، وفي المقابل إن أعطيتهم بظهرك فلن تجد إلّا ظهورهم في وجهك.

ولأنَّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن فالتمسّك بالقواسم المشتركة (قاعدة)، والتخلّي عنها (استثناء).

ومن هنا ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميّة حُسن التدبُّر والتمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء والتهميش.

ولهذا من أجل حُسن التدبُّر وإحداث النُّقلة ينبغي أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمراريَّة علائقيّة.

. الشفافيّة وضوح في القول والفعل والعمل والسُّلوك.

. الأخذ بما يجب يمكّن من إحقاق الحقّ.

. إحقاق الحقّ يمكّن من إحداث النُّقلة.

. إحداث النُّقلة يمكن من بلوغ المأمول ونيله.

وعليه:

إنَّ حُسن التفكّر وتفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة يؤدِّيان إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدثان النُّقلة؛ أمّا إهمالهما فيؤدِّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدِّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيَّة والذوقيّة والثقافيّة، فهذه الظروف من طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفرديَّة، والفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعيَّة؛ فإنَّ اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي ينبغي دفعها إلى صُنع المستقبل بنُقلة بها تتغير الأحوال إلى ما يفيد وينفع ويعظم المكانة ويرسخ السيادة الوطنيَّة.

استطلاع الخوف تفكيرًا:

التفكير تعمّق فكري بغاية إيصال العقل إلى معرفة حقائق الأمور؛ ومن هناً فحُسن التفكير حساباته دقيقة وتتجه إلى التدقيق والتفحُّص في الصغائر والكبائر مع صعوبة الاختيار أحيانًا بين معاييرها، وكأن العقل يريد أنْ يفرز الدقيق من الدقيق وأن يزن الأدق بالأدق.

ولذا فالتفكير عمليَّة عقليَّة لتقصّى الظواهر أو المشكلات المحيّرة مع إصرار المفكّر على الخروج من الحيرة بنتيجة تجيب على التساؤلات أو الافتراضات قيد التفكير والاستقراء الذهني واستنباطاته.

والتفكير في الشّيء لا يكون إلّا بتمكّن العقل منه شيئا محيّرا؛ فيقرر العقل تحدّيه معرفة، حتى يدلل صعابه ويُليِّنه مرونة ومعرفة ذهنيَّة، ثمّ يهيئه وضوحا للخروج؛ ليكون بين الأيدي معرفة منتجة، أو إبداعا مضافًا.

فالتفكير إشغال العقل بعمليّة ذهنيّة تلفته إلى الموضوع تفحُّصًا وتتبّعا، والتفكير هو انشغال بما هو موجب، ولهذا لم يكن هو التخمين الذي فيه

من التلاعب العقلي ما فيه (من السّالب ومن الموجب)، ممّا يجعل صاحبه لاعبا بالورقة التي يعتقد أنّها المربحة، ومن هنا يجد نفسه بين النَّاس بين مذموم ومشكور وكلّ حسب ما هيّأ نفسه له عقليًّا؛ فالتخمين مع أنّه من إعمال العقل فإنَّ نتائجه غير يقينيَّة؛ وذلك لامتلائها بالشكوك والظّنون؛ كونها لا تستند على الحجّة.

إذن: التفكير هو نشاط العقل في ذاته تفكيرًا، ولا وظيفة له إلّا أن يفكّر، وعندما يفكّر فيما يفكّر فيه يكون في حالة عمل مُلفت للمفكّر؛ ولذلك تعدّ الاستجابات المفاجئة بأسباب الاستفزاز المرعب هي استجابات عن غير وعي (عن غير تمعُّن) استجابات غير مسؤولة، لأنّها لم تكن نتاج انصهار المعرفة والأفكار في بوتقة الانتباه، ممّا يجعل الشوائب تتعلّق بها وهي تفتقد إلى الحقيقة، فالحقيقة نتاج التفكير هي التي يبلغها العقل عن وعي وانتباه سوأ أكانت نتيجة موجبة أم سالبة.

فالتفكير في الموضوع أو المشكلة قيد البحث، تفكير وعيٍ لأنّه وفقا لأهدافٍ محدّدة وفروض أو تساؤلات تمّ صوغها موضوعيًا؛ بغاية الوقوف على العلل والأسباب التي تكمن من ورائه، ممّا يجعل العقل المدبّر لأمره يفكّر في حلول أو معالجات، ولن يتوقّف عن التفكير حتى ينجز بحثه استقصاء بنتائج قابلة للتفسير وتُخرِج من الحيرة.

والتفكير كونه عمليَّة عقليَّة ذهنيَّة غير قابل للمشاهدة والملاحظة، مع أنّه لا عمل قابل للمشاهدة والملاحظة إلّا وهو نتاج ما يبذله العقل من عمل تفكيري.

فالتفكير يُمكّن من معرفة الشيء قبل أن يصبح شيئا عند من لم يشغل عقله به تفكيرًا، ولأنَّ الشيء في دائرة الممكن هو نتاج التفكير الذّهني، فهو في زمن التفكير لم يكن شيئا على الصّورة المشاهدة، بل يكون على الهيئة، والهيئة هي ما يُمكن أن يكون عليه الشيء قبل أن يصبح شيئا مشاهدا وملاحظا؛ فالمفكّر متى ما تمكّن تفكيرًا من معرفة أو اكتشاف الهيئة التي عليها المكتشف يستطيع من بعدها أن ينقل أو يُخرج تلك الهيئة التي تصورها وضوحا إلى حيّز المعرفة المشاهدة والملاحظة؛ ولهذا فلا هيئة في دائرة الممكن إلّا بالتفكير المعمّق الذي من خلاله يستطيع المفكّر أن ينتقل من حالة المشاهدة إلى حالة التفكير تجريدا، ومن ثمّ يستطيع تفكيرًا أن يضيف مشاهدا جديدا إلى ذلك المشاهد الذي حيّره حتى تخلّص من حيرته تفكيرًا.

إذن: بأسباب التفكير والغوص في مفاصل مواضيعه تتمّ المعرفة المضافة للمعارف السّابقة، ومن هنا:

- لِمَ لا نفكّر حتى نتمكّن من الإضافة؟
- لِمَ لا نفكّر؛ حتى نتمكّن من المعرفة الواعية؟
- لِمَ لا نفكّر بلا إشارة قف؛ حتى نعرف ما يكمن من ورائها؟

. لِمَ لا نفكّر في كلّ شيء بغاية تحسين أحوالنا التعليميَّة والصّحيَّة والبيئيَّة والذوقيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة؟

وعليه فإنَّ التفكير في الشيء يظهر المفكّر على حيثيته، ويمكّنه من كشف خفاياه، والتفكير ارتقاء هو بحث عقلي وتفحّص فيما يجب وما لا يجب، مع اختيار الوسائل المحقّق لفعل الارتقاء؛ فبنو آدم في دائرة التفكّر ارتقاء هم بين متوقّع وغير متوقّع، أي: أنّهم بين متوقّع الارتقاء ومتوقّع الدّونية، ومن جهة أخرى هم: يتبدّلون حيث لا ثوابت؛ فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه قمّة.

ولأجل ذلك ينبغي أن نغوص في عقولنا تدبّرا حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولًات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيرًا قبل أن تصاغ أهدافا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاء أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي أن تكون الأهداف غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفيَّة إنجازه، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهميَّة، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولًا.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدفه، ولكنّه لا يفكّر في كيفيَّة إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

ومن ثمّ فمن يريد أن يبلغ الغايات العظيمة، وينال المأمول؛ فعليه أن يجعل أهدافه درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان

أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الثّانية؛ ولذا فلا ينبغي أن يغفل أحد من بني آدم ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدُّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السِّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السَّعيد قيمة. ولكن إن لم يفكّروا ويعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرَّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فالحياة الدُّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر تفكيرًا وأكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما فكّروا وتدبّروا ثمّ عملوا، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بإعادة التفكير

في المحيّر وعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه ارتقاء.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين حتى وإن فكّر من فكّر في غير ذلك: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّة وَاحِدَة وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[82].

إنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب على بني أدم أن يفكّروا بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقا لما

[82] هود 118، 119.

يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة.

ولذلك وجب التفكّر والتدبّر بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم

أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة.

فرجالات الدّولة ارتقاء هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون؛ فرجالات الدّولة ارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كبروا تواضعوا، أمّا المدّعون لذلك؛ فهم مع كلّ هبة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وعلّة الدّولة.

فالدّولة ارتقاء تستهدف رجالات بعينهم وفقا لما هم عليه من مكانة، ومع ذلك تخضعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك هم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن القيم والفضائل الخيّرة، بهدف إعادتهم إليها ارتقاء.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة؛ فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنون هم يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدِّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعية، أو الوطنية، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاع، ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك، وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم؛ فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق؛ ومن ثمّ فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم؛ فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

فبنو آدم الذين بلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم

بلا آمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنَّه بلا رأس.

وهكذا هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك فلا ينبغي أن يكون بنو آدم سمّاعيون فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلا وتفسيرا وتخطيطا وسلوكا وعملا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب، حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون

ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك؛ فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم؛ فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تفكّرون موضوعيَّة وتتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من التفكير الممكّن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)؛ ولذا فإن كنتم أهل موضوعيَّة؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملأه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية من بعدها آية ترشد للخير وللمحبّة.

ولهذا فلا ارتقاء لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدُّنيا.

ومن ثمّ فالارتقاء بالنّسبة لبني آدم هو: أمل قابل لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا؛ فهي:

الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة. وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرًا بين التّخيير تارة، وبين التّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدُّنيا (الزائلة) وما يمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة)؛ حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدُّنيا، التي تتطلّب تفكيرًا واعيا كما تتطلّب من بعده عملا مبدعا ومنتجا بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيم مأمولًا.

لذا يجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنَّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرتضي بنو آدم بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكان له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك فالغناء رحمة؛ والفقر أزمة ومواجع، ولأنّهما كذلك، وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب من أجل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاء.

فالغنى ارتقاء حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ، بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي أن تزال، أمّا العجزة والقصّر؛ فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير؛ فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق المسؤولين في الدّولة.

إذن فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة؛ حيث لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤوليَّاته. وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفليَّة لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقّا وواجبا ومسؤوليَّة.

ولذلك ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه حتى تُرتق الأرض والسّماء بالعمل ارتقاء.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (196) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلَّفاتُ

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31. إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33. يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

34. داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36. أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39. محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمة وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبُّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزَات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التَّأزُّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثِّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 – مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطَّريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التَّأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطَّريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزَات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 ـ أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشَّيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولًات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

194 – الخدمة الاجتماعية الناهضة (التطرف بين المعلومة الخاطئة والمعلومة الصائبة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

195 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (كيف تصنع أملا)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

196 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الخوف استطلاع مستقبل من التذكّر إلى التفكُّر)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

المؤلِّفُ في سطورٍ

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الثَّانية جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عامّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (196) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/